الجمـهورية الجزائريــة الديمقراطيــة الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة وهران السانية

كلية الآداب واللغات والفنون **قسم اللغة العربية وآدابها**

مذكرة لنيل شهادة الماجستير الموسومة بـ:

تفاعل البنيـة التركيبيـة والبلاغيـة فـي العمليـة التواصليـة "دراسة تطبيقية في اليتيمة لابن المقفع"

إعداد الطالبة :
فريدة سبايعي

إشراف الأستاذ:
أحمـد عزوز

لجنة المناقشة

أ. الدكتور ..... رئيسا
أ. الدكتور ..... مشرفا
أ. الدكتور ..... مناقشا
أ. الدكتور .....مناقشا

السنــة الجامعيــة
2008-2007

بسم الله الرحمن الرحيم

(قَالُوا سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَناَ إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَاَ

إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ)

سورة البقرة الآية 32

المقدمة

إن العطاء التعبيري الذي تميزت به اللغة الإنسانية، دفع العلماء إلى البحث فيها وتحليلها ومعرفة خصائصها.

ولما كانت اللغة ذات طبيعة مركبة، تطلب ذلك دراستها وفق مستوياتها المتعددة والمكونة لها.

ووجدنا في تتبع بعض أعمال السابقين أمثال سيبويه (تـ 180هـ) وابن جني (تـ392هـ)، والسيوطي (تـ 911هـ) وفي كتب إعجاز القرآن الكريم، اجتماع الدراسة التركيبية والبلاغية معا؛ بحيث لا نجد فصلا بين البنية اللغوية والوظيفة الإبلاغية التي تؤديها، فأي تركيب لغوي مهما كان نوع إسناده إنما يساق لغرض وقصد معينين.

والسبب في الجمع بين المستويين، أنهم ربطوا صحة الكلام ووظيفته بثلاثة شروط هي: المتكلم والمتلقي والمقام؛ أي أنهم جمعوا في الدراسة بين العوامل اللغوية وغير اللغوية.

وتوصلوا من خلال الاعتماد على البنيتين المتميزتين المتكاملتين وهما:

-البنية الثابتة الإسنادية.

-والبنية المتغيرة البلاغية.

إلى تحديد مختلف أنواع الأساليب وتصنيفها.

وأقدم دراسة سبقتني في هذا الموضوع تتمحور حول جهود الإمام عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) في كتابه "دلائل الإعجاز في علم المعاني"، والذي يُعدّ مرحلة جديدة في الدرس اللغوي من خلال دراسته النحوية وربطها بالمستوى البلاغي، كما ساهم المحدثون في التطرق إلى تفاعل البنية التركيبية والبلاغية؛ نجد مثلا كتاب "التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني" لمؤلفه "صالح بلعيد"، وكذلك كتاب "المدخل إلى النحو والبلاغة" لـ "عمّار ساسي"، وهناك رسالة جامعية بعنوان " أثر المستوى التركيبي في الدلالة" للطالب "لوسرة محمد" يعالج فيها موضوع التركيب وإفادته للأغراض التي يبتغيها المتكلم.

وعليه بدت لي أهمية هذا الموضوع، وارتأيت أن يكون عنوانه:

"تفاعل البنية التركيبية والبلاغية في العملية التواصلية".

-دراسة تطبيقية في اليتيمة لابن المقفع-

والهدف من هذه الدراسة هو تبيين قيمة المستوى التركيبي عندما يتحد مع نظيره البلاغي في توصيل المعنى وتوضيح الدلالة أثناء الحدث الكلامي.

فلا غنى لأحدهما عن الآخر، وفي تفاعلهما يتم البيان الذي هو أهم مطلب في التواصل اللغوي.

حيث ترتكز العملية التواصلية الناجحة على مراعاة الجانب التركيبي الإسنادي للجملة والجانب الوظيفي الإبلاغي لها.

إذ يأخذ المرسل –أثناء التواصل اللغوي- بعين الاعتبار المعنى النحوي الذي تؤديه الكلمة ويوازن بينه وبين قدر المعنى.

وإنّ امتلاك عدد كبير من المفردات بالنسبة للمتكلم لا يعني نجاحه في توصيل المعلومات والتواصل بينه وبين المتلقي، بل إنّ حسن اختيار الكلمة في التركيب وتعليقها بغيرها في ظرف من الظروف يُتمِّم المعنى الذي يحسن السكوت عليه.

وعليه فإنّ المعنى الجزئي للكلمة لا يقارن بمدى قيمة المعنى المستخلص من التركيب، لأنّ في الجملة يتم التماسك والبناء بين عناصرها اللغوية.

وإذا كان هذا الأمر ينطبق على الجملة بالنسبة لعلماء النحو إذ من شروطها تحقق عنصري اللفظ والمعنى، فهل المتكلم بحاجة إلى نظام آخر غير النظام النحوي ليبلغ المعاني، أو هل يمكن الاستغناء عن أحد البنيتين التركيبية أو البلاغية في التواصل اللغوي، والاكتفاء ببنية واحدة؟

وماهي الظروف التي تتحكم في إنتاج وتركيب الجملة لكي تحقق الهدف الذي من أجله وُجدت، ألا وهو الفهم والإفهام.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن أقسمه إلى مدخل وثلاثة فصول وخاتمة.

-المدخل: "تفاعل البنية التركيبية والبلاغية في الدراسات العربية والغربية".

وقسمته إلى عنصرين رئيسيين؛ تضمن العنصر الأول أهم المفاهيم المتعلقة بثلاث مصطلحات هي: التفاعل والبنية والتركيب.

وعرضت في العنصر الثاني بعض الدراسات العربية والغربية التي جمعت في بحوثها اللغوية بين مستوى سلامة التركيب ومستوى الأغراض البلاغية.

واتضح أن المسائل التركيبية والقضايا الإسنادية وثيقة الصلة بحسن البيان وجودته.

-الفصل الأول: "القيمة البيانية للنحو والبلاغة في التواصل اللغوي".

وأوضحت من خلاله أن البيان ليس حكرا على علم البلاغة فحسب، بل هو قاسم مشترك بينها وبين علم النحو، فالحركة الإعرابية مثلا تمثل الوظيفة الإسنادية التي يقوم بها العنصر اللغوي -مهما كان مركزه في التركيب- وتمثل كذلك دوره البياني.

وعليه بدأت أولا بشرح قيمة الإعراب البيانية، مرورا بالأسلوب كظاهرة لغوية تواصلية، وصولا إلى البلاغة والتي تمثل قمة التعبير والإفصاح.

-الفصل الثاني: "الجهود النحوية والبلاغية في الدراسة التركيبية".

وتحدثت في هذا الفصل عن الجملة باعتبارها وحدة لسانية من أهم وظائفها نقل المعلومات والتواصل بين الأفراد.

ولما كانت كذلك لقيت اهتماما من طرف علماء النحو والبلاغة، فهي ذات طبيعة مزدوجة؛ أي أنها ذات تركيب إسنادي وغرض دلالي، ومعناها هو محصلة بنيتها التركيبية.

-الفصل الثالث: "الرسالة اليتيمة في ضوء التفاعل النحوي والبلاغي".

وخصصت هذا الفصل للجانب التطبيقي، واتخذت من الرسالة اليتيمة لابن المقفع نموذجا للتحليل، بغية استظهار ملامح التفاعل بين البنيتين التركيبية والبلاغية.

-الخاتمة:

وفي الخاتمة ذكرت أهمّ النتائج التي توصلتُ إليها من خلال البحث.

واعتمدت في معالجة فصول الرسالة على المنهج الوصفي تارة والتحليلي تارة أخرى، وهما منهجان يتلاءمان والبحث اللغوي عموما والتركيبي والبلاغي خصوصا.

كما قمت بالمقارنة بين مجال وحدود الدراستين النحوية والبلاغية في الفصل الأول.

ولقد واجهتُ في مراحل البحث بعض الصعوبات كان من أهمّها ندرة الصادر التي تطرقت إلى موضوع التفاعل بين المستوى التركيبي والبلاغي، فكثيرًا ما نجد

مباحث التركيب والبلاغة منفصلة عن بعضها، ويرجع السبب في ذلك إلى التفريق بين العلوم ووضع الحدود بينها بتخصيص مجال وموضوع كلّ علم.

ولا يسعني في الأخير إلاّ أن أتقدّم بخالص شكري وتقديري إلى الأستاذ المشرف "أحمد عزوز"، وإلى كلّ من ساعدني من قريب أو بعيد.

والله نسأل التوفيق

والحمد لله ربّ العالمين

المدخل:

تفاعل البنية التركيبية والبلاغية في الدراسات العربية والغربية

I)- في المفاهيم:

1)- مفهوم التفاعل لغة واصطلاحا

2)- مفهوم البنية لغة واصطلاحا

3)- مفهوم التركيب لغة واصطلاحا

II)- تفاعل البنية التركيبية والبلاغية:

أ)- في الدراسات العربية:

سيبويه، دارسو الإعجاز القرآني: الرماني، الخطابي،أبو هلال العسكري،الباقلاني، عبد القاهر الجرجاني.

ب)- عند المدرستين:

ب-1 الوظيفية .

ب-2 النسقية .

I)- في المفاهيم:

1)- مفهوم التفاعل لغة واصطلاحا.

2)- مفهوم البنية لغة واصطلاحا.

3)- مفهوم التركيب لغة واصطلاحا.

تعد الكتب المقدسة –منذ القديم- عاملا أساسيا في نشأة الدراسات اللغوية وازدهارها، وذلك راجع إلى اهتمام الحضارات والأمم بكل ما هو مقدس.

ولقد أجمع العرب على أن القرآن الكريم كان الدافع الأساسي للبحث في خصائص العربية وكشف أسرارها، فتأسست علوم جليلة من أشهرها علم النحو والبلاغة.

ومن بين ما سعى إليه القدامى هو وضع ضوابط تمكن من إجادة الكلام العربي و اتباع أساليبه، ليحقق وظيفته الاجتماعية، المتمثلة في حسن التواصل بين أبناء المجتمع.

وقد دعت أهمية اللغة العلماء إلى دراستها بموضوعية في ذاتها ومن أجل ذاتها لأنها تمثل نظاما تبليغيا قائما بذاته.

وفي معرفة أنظمتها المتكاملة والمتفاعلة فيما بينها [1] سبيل إلى سبر أغوار الفكر الإنساني، ويتجسد ذلك التفاعل بين بنيتين هما: التركيبية والبلاغية.

1)- مفهوم التفاعل لغة واصطلاحا:

يذكر ابن قتيبة (ت 276هـ) في كتابه "أدب الكاتب" باب تفاعلت ومواضعها حيث يقول إنها "تأتي من اثنين بمعنى افتعلت، تقول: تضاربنا بمعنى اضطربنا، وتقاتلنا بمعنى اقتتلنا، وتجاورنا بمعنى اجتورنا، وتلاقينا بمعنى التقينا، وتخاصمنا بمعنى اختصمنا وترامينا وارتمينا[2]

فالمقصود "بتفاعل البنية التركيبية والبلاغية" هو الاشتراك في الوظيفة المؤدية بين التركيب والبلاغة من أجل إنجاح التواصل اللغوي.

ومن أمثلة ذلك، يقول ابن منظور في تفسيره لكلمة "حبذا" بأنها: "كلمتان جعلتا شيئا واحدا، ورفع بها الاسم، تقول: حبذا زيد، حبذا هند، وهي كلمة مدح يبتدأ بها لأنها جواب، أجريتها على ذكر شيء سمعته"[3].

فبالإضافة إلى الوظيفة النحوية التي تشغلها كلمة حبذا في التركيب، فإن لها دورا مهما في التبليغ والبيان، وهي دليل على ردة فعل المتلقي وجوابه على أمر ذكر سابقا،

---

[1]- ينظر: محمد العيد رتيمة- النظرية البنيوية الوظيفية العربية وتطبيقاتها في الدرس اللغوي- مجلة اللغة العربية والآداب- الجزائر-ع9- 1416هـ- 1996م، ص 07.

[2]- ابن قتيبة- أدب الكاتب –حققه وعلق حواشيه ووضع فهارسه: محمد الدالي مؤسسة الرسالة- بيروت-ط2- 1420هـ- 1999م، ص 467.

[3]- ابن منظور- لسان العرب- دار صادر بيروت-ط1- 2000م، 07/04.

فيبتدأ بها ويرفع الاسم الذي يأتي بعدها فكأنه قال: "حبذا الذكر، ذكر زيد، فصار زيد موضع ذكره"[1].

ويدل التفاعل interaction في مفهومه الاصطلاحي على التأثير المتبادل بين ظاهرتين أو أكثر ويكون هناك انسجام بينهما [2]، ويؤدي في الأخير إلى الاتحاد في العمل.

2)- مفهوم البنية لغة واصطلاحا:

جاء في لسان العرب عن مفهوم البنية "البني نقيض الهدم...والبناء والمبني، والجمع أبنية والبنية والبنية ما بنيته، وهو البنى والبنى، يقال بنية وهي مثل رشوة، ورشا، كأن البنية الهيأة التي بنى عليها مثل المشية والركبة"[3].

وتشترك جل المعاجم اللغوية في المفهوم نفسه، إذ يذكر الشيخ عبد الله البستاني قائلا: "بناه يبنيه بنيا وبناء وبنى و بنيانا وبنية وبناية نقيض هدمه، البنية بالضم والكسر ما بني ج: بنى وبنى"[4].

أما الدراسة البنيوية للغة فإنها بدأت على يد اللساني دي سوسير F. De Saussure، عندما أعلن في محاضراته أن اللغة "تشكل منظومة، وهي آلية معقدة لا يمكن إدراكها بغير التفكير"[5]، ليؤسس بذلك منهجا لسانيا جديدا من خلال اعتبار اللغة نظاما أو نسقا من العلامات قائما بذاته.

فهي تمثل في نظره واقعا يتألف من مجموعة بنى صوتية ومعجمية وتراكيب بالإضافة إلى المعاني [6]، حيث تتحد الوظيفة الصوتية مع الوظيفتين المفرداتية والتركيبية لتبلغ المعاني وتحققها.

فاللغة إذا هي "مؤسسة جماعية ذات قواعد تفرض نفسها على الأفراد، وتتناقل بطريقة جبرية من جيل إلى آخر"[7]، حيث لا يتسنى للمتكلم أن يدخل تغييرا على النظام لأنه ركيزة من ركائز الاتصال اللغوي.

---

[1]- ابن منظور- لسان العرب-07/04.

[2]- voir Gattel C.M. Dictionnaire pratique de la langue française, France. Juin 2001, p 277. et la petit Larousse illustré. France 2007, P 589.

[3]- ابن منظور- لسان العرب-160/02.

[4]- الشيخ عبد الله البستاني- الوافي- معجم اللغة العربية- مكتبة لبنان1910، ص 52.

[5] – فرديناند دي سوسير- محاضرات في الألسنية العامة-تر: يوسف غازي ومجيد النصر- المؤسسة الجزائرية للطباعة1986م.

[6] – ينظر: الزواوي بغورة- المنهج البنيوي- دار الهدى- الجزائر-ط1، 2001م، ص 35-36.

[7] – جان بياجيه- البنيوية- ترجمة: عارف منيمة وبشير أوبري-منشورات عويدات-بيروت-باريس- ط2- 1980م، ص63.

وباعتبار اللغة بنى متراصة ومقننة؛ فإنها تمثل صورة عن أفرادها وتعبيرا عن أفكارهم، لهذا تختلف وتتعدد تنظيماتها وأشكالها.

والوظيفة الأساسية التي من أجلها وجد الشكل الخارجي هي التبليغ وإيصال الأفكار، من خلال كل مركب تتفاعل فيه العناصر فيما بينها.

ويعد اتصاف اللغة الإنسانية بالنسقية ضابطا مهما لفك أسرارها، ولا يتم ذلك إلا من خلال معرفة طريقة تركيب الرسالة وتحليل عناصرها، [1] وعن طريق تأدية اللغة لوظيفتها التواصلية يتم اكتشاف بنيتها، فهي "عبر هندستها المتجددة وتلازمها الوظيفي مع اللحظة التواصلية تمثل صورة الانبناء كأحسن ما يكون التصوير"[2].

فالتواصل اللغوي هو الصورة النموذجية والمثلى لتحديد نظام وبنية اللغة، بحيث تتحد عناصرها ووحداتها الدالة، لأن الإنسان "يتعامل عند الكلام مع بنية اللغة تعاملا متكاملا، وهو ما يؤكد أن عملية تلقي الخطاب اللغوي ترتكز على مبدأ الإدراك الشمولي الذي تحصل بموجبه في ذهن الإنسان صورة عن الكل خارج نطاق صورة الأجزاء متميزة بعضها عن بعض" [3]، أي أننا ندرك مضمون ومحتوى الرسالة وهي متحدة ومترابطة الأجزاء، أي ندرك الكل قبل الجزء.

3)- مفهوم التركيب لغة واصطلاحا:

أما مفهوم التركيب، فهو من مادة (ر.ك.ب)، وقد جاء في لسان العرب: "ركب: وكل ما على فقد ركب وارتكب، وكل شيء علا شيئا فقد ركبه، وتراكب السحاب وتراكم صار بعضه فوق بعض، وركب الشيء وضع بعضه على بعض، وقد تركب وتراكب"[4].

فالمفهوم اللغوي للتركيب يدل على وضع شيء فوق شيء، ولكن الوضع يكون بإجادة وإتقان، ومنه "ركب الفص في الخاتم، وشيء حسن التركيب، وتقول في تركيب الفص في الخاتم: ركبته فتركب فهو مركب وركيب"([5]) فليس أجمل من أن تركب الحجارة الكريمة في الخاتم لأن الفص يزيدها حلية وبهاء.

---

[1]- ينظر: عبد السلام المسدي- قضية البنيوية- دراسة ونماذج، دار الجنوب للنشر- تونس1995، ص 13.
[2]- عبد السلام المسدي- المرجع نفسه- ص14.
[3]- عبد السلام المسدي- المرجع نفسه-ص64.
[4]- ابن منظور- لسان العرب-210/06.
[5]- محمد مرتضى الزبيدي- تاج العروس من جواهر القاموس- دار مكتبة الحياة بيروت- لبنان-ط-1306هـ، 277/1.

ومما يدل على أن التركيب يرتبط بحسن الصنعة قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيمِ، الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ، فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾[1]؛ فالتسوية و التعديل في جسم الإنسان يفيدان إتقان صنع الخالق و معنى "ركبك" أي في صورة كاملة بديعة و تقدير الآية في صورة عظيمة شاءها مشيئة معينة أي عن تدبير و تقدير[2].

وقوله تعالى في موضع آخر من كتابه العزيز: ﴿وَهُوَ الّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا﴾ [3]، وقد جاء في تفسير هذه الآية أن الماء هو سبب ظهور جميع أصناف النبات، ثم خص بالذكر الخضر وهو رطب البقول لأن شكل حباتها مركبة بعضها فوق بعض، أي أن الله -عز وجل- يخرج من الخضر يعني ما في السنبل، سنبل الحنطة والشعير والأرز وما أشبه ذلك من السنابل التي حبها يركب بعضه بعضا [4] بطريقة منظمة.

أما التركيب في المفهوم الاصطلاحي فهو "عبارة عن إسناد اسم إلى اسم أو فعل إلى اسم وذلك موكل إلى المتكلم"([5])، فالإسناد من مهام المتكلم أو صاحب الرسالة، ويقوم بتركيب عنصرين فصاعدا.

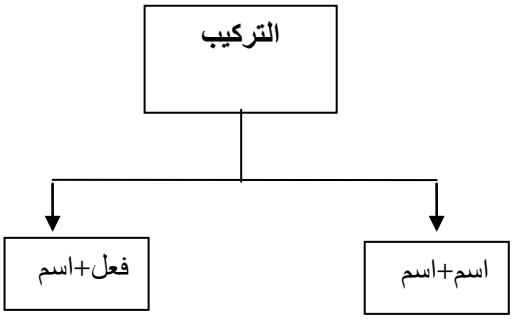

---

[1]- سورة الانفطار-الآية06-07-08.

[2]- ينظر: محمد الطاهر بن عاشور – تفسير التحرير و التنوير، الدار التونسية للنشر1984، ج30 ص 176-177

[3]- سورة الأنعام- الآية99.

[4]- ينظر: ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن -دار الفكر بيروت- لبنان- ط- 2001م.

[5]- المنصف عاشور- بنية الجملة العربية بين التحليل والنظرية،منشورات كلية الآداب-1991، ص 22.

وقد يكون التركيب الذي نحدثه بين الأسماء والأفعال تاما أو ناقصا وعليه قسمت أنواع التراكيب إلى تامة وأخرى ناقصة، ويتفرع التركيب التام إلى أنواع أخرى هي: التركيب الإضافي، التركيب الإسنادي والتركيب البياني، بينما يتفرع هذا الأخير إلى تركيب وصفي وتوكيدي ومزجي [1].

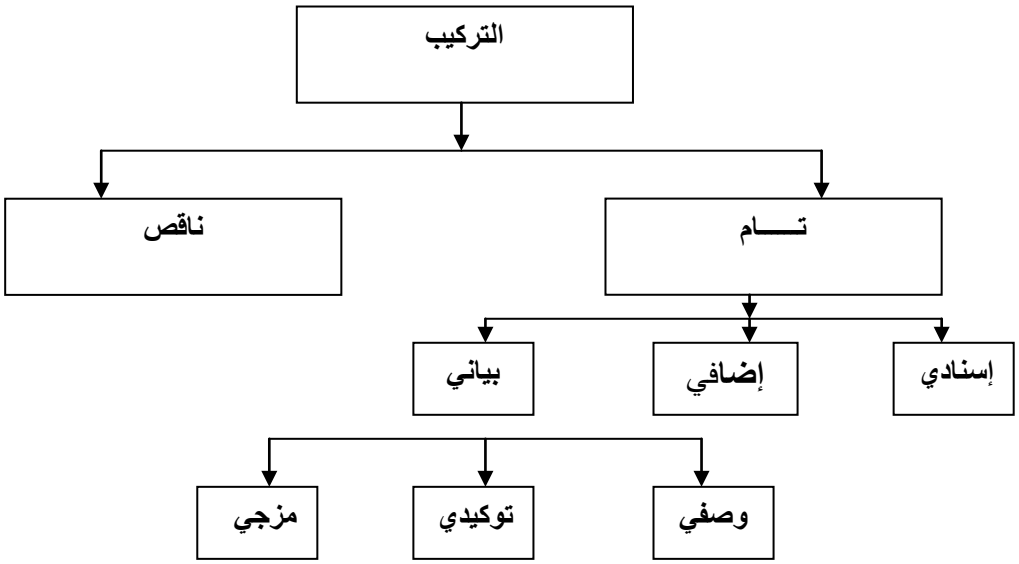

نستخلص من كل ما سبق أن مفهوم التركيب لا يختلف عن مفهوم التأليف –من جهة-، ففي تعريف ابن هشام للكلام يقول: "بأنه قول مفيد، وأقل ائتلافه من اسمين أو من فعل واسم"[2].

ومن جهة أخرى فالتركيب هو نفسه البناء، لأن نتيجة التركيب والبناء واحدة، يحدث من خلالها تعليق عنصر بآخر، ولا تتم وظيفته إلا ببقية العناصر الأخرى.

وقد اتجه نظر العلماء –منذ القديم- إلى قيمة بناء الجملة "بوصفها الخلية الدلالية المتماسكة بنيويا، ثم ينشأ الوعي المتدرج نحو الأجزاء المركبة لها من الكلمات وللكلمات من الحروف"[3].

وأي جملة مهما بدت بسيطة أو مركبة تتكون بطبيعة الحال من هذه الوحدات المجزئة الأولية، حيث غدت في الدرس اللساني الحديث أهم أجزاء الكلام القابلة للتحليل والهيكلة.

---

[1]- ينظر: صالح بلعيد- التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر- 1994، ص 102-103.

[2]- ابن هشام- الجامع الصغير في النحو، تح: أحمد محمود هرميل-القاهرة1980م، ص 10.

[3]- عبد السلام المسدي- قضية البنيوية- ص64.

II)- تفاعل البنية التركيبية والبلاغية

أ)- في الدراسات العربية:

سيبويه، دارسو الإعجاز القرآني: الرماني الخطابي، أبو هلال العسكري الباقلاني، عبد القاهر الجرجاني.

كانت البلاغة القرآنية ولازالت أشد وأقوى في كيفية صياغة الجملة وتعليق الكلم بعضها ببعض، "فقد أثر القرآن بنظمه وتأليفه العجيب في ترشيد الذوق البلاغي كونه تحدى العرب بكلام من عندهم ووفق أساليب لم يألفوها ولا يستطيعون الإتيان بمثلها مهما أوتوا من صفوة القول وحسن الكلام"[1].

وكان القرآن الكريم من الأسباب الرئيسية التي أدت إلى ظهور بواكير الدراسات اللغوية، والتي انحصر جوهرها حول التركيب اللغوي، نظرا لقيمته البيانية والتبليغية.

وأضاف إمكانات كبيرة في أنه "استحدث طرقا فنية للربط بين المفردات وبين الجمل والعبارات، وخلق دلالات متنوعة تتوافق مع أغراضه وأهدافه"[2].

وأدرك من خلاله الدارسون أن التركيب النحوي لا ينفصل عن الأغراض والمعاني، وأن "الإبداع النحوي في القرآن هو مناط الفضيلة ومجال الإعجاز"[3].

فكانت ثمار جهدهم تدور حول التركيب والبلاغة في كثير من المواطن وتوصلوا إلى أنه لابد من وجود مناسبة بين الوحدات اللغوية في الجملة والأغراض الدلالية المتنوعة.

- سيبويه (ت 180هـ):

يعد علم المعاني أحد أهم فروع علم البلاغة "وتعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال"[4].

فالأصل في الكلام أن يكون خبرا أو إنشاء وإن كان خبرا فلابد من توافر المسند والمسند إليه في الجملة لتقع الفائدة.

وأدرك النحاة وعلى رأسهم سيبويه (ت 180هـ) "أن الخبرة بتراكيب اللغة هي في الوقت ذاته خبرة بالأغراض التي تعبر عنها، أو بعبارة أخرى أدرك النحاة أن هناك ارتباطا قويا بين ما يسمى بالتراكيب أو ما يسمى بالمعاني أو الأفكار"[5].

فلقد تحدث في "الكتاب" عن الأسماء والأفعال والحروف باعتبارها الوحدات الأساسية التي تبنى بها اللغة وربطها بالوظيفة التي وجدت من أجلها.

---

[1]- صالح بلعيد- نظرية النظم- ص94.
[2]- محمد عبد المطلب – البلاغة والأسلوبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب-1984، ص 43.
[3]- محمد عبد المطلب- المرجع نفسه- ص42.
[4]- جلال الدين السيوطي- شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، دار إحياء الكتب العربية- د-ت، ص08.
[5]- محمد عبد المطلب- البلاغة و الأسلوبية- ص35.

فبحث في بنية اللغة العربية مقيما لها الضوابط والأسس التي تضمن لها وظيفتها التواصلية.

وعقد في الكتاب فصلا أسماه "هذا باب المسند والمسند إليه"، حيث يقول: "وهما لا يغنى واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منه بدا"[1].

وتعتبر قضية الإسناد التي أكد عليها سيبويه في هذا الباب، قضية مشتركة بين علم التراكيب وعلم المعاني، حيث يقسم البلاغيون أغراض الخبر إلى قسمين:

1)- «الغرض الأول: ويتمثل في إفادة المخاطب الحكم وما تتضمنه الجملة، وقد أطلقوا على هذا الغرض عبارة "فائدة الخبر".

2)- الغرض الثاني: وهو إفادة المخاطب أن المتكلم عالم بالحكم، وسمي بـ: "لازم الفائدة"» [2]، ومن خلال هذا التقسيم للأغراض تتجلى لنا أهمية العلاقة بين المتكلم والمخاطب، ويكون التركيز أشد على المخاطَب لأن الخبر يهمه وهو أساسي في الجملة.

ولهذا أكد سيبويه على ضرورة توافر عناصر الإسناد، ومن بين الأمثلة التي ذكرها في هذا الباب قوله: "فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه، وهو قولك: عبد الله أخوك"[3]، فالمتكلم أثناء تركيب رسالته مطالب بذكر المسند والمسند إليه ليكون كلامه تاما ومفيدا بالنسبة للمتلقي.

ويمكن لهذه الجملة أن تنتمي إلى أحد الغرضين السابقين، فإذا افترضنا أن المتلقي يجهل أخاه فإننا قد نخبره بهذه الجملة، ويمكن إفادة المتلقي بأن المتكلم على علم بأن عبد الله أخوه.

وأخذ عنه المبرد (ت 285هـ) ذلك، حيث يشير صراحة إلى قيمة ذكر المسند والمسند إليه بقوله:" فالابتداء نحو قولك "زيد"، فإذا ذكرته فإنما تذكره للسامع، ليتوقع ما تخبره به عنه، فإذا قلت "منطلق" أو ما أشبه صح معنى الكلام، وكانت الفائدة للسامع في الخبر"[4].

وهو بهذا يذكر الغرض الأول من أغراض الخبر لدى البلاغيين وهو: "فائدة الخبر"؛ فكل من المتكلم والسامع على علم بالمبتدأ ، لكن الخبر مجهول بالنسبة للسامع.

---

[1]- سيبويه- الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون- القاهرة- ط3 1408هـ- 1988م، 23/01.
[2]- سعد أبو الرضا- في البنية والدلالة، الإسكندرية-د-ط-د-ت، ص89.
[3]- سيبويه- الكتاب-23/01.
[4]- المبرد المقتضب، -تح: محمد عبد الخالق عضيمة- القاهرة-ط2 1399هـ-1979م، 126/04.

وإنّ تعلق الخبر بالمبتدأ تعلق ضروري لأنه "لا يمكن أن نتصور وقوع قصد إلى معنى كلمة من دون أن نريد تعليقها بمعنى كلمة أخرى، والهدف من وراء القصد إعلام السامع شيئا يجهله"[1].

وهذا ما لمسناه عند سيبويه والمبرد وهو كذلك عند ابن جني (ت 392هـ)، في "الخصائص" تلميحا لا تصريحا إذ يقول: "وذلك أن الكلام إنما وضع للفائدة والفائدة لا تجنى من الكلمة الواحدة وإنما تجنى من الجمل ومدارج القول"[2].

فمن شروط الكلام لدى ابن جني- وغيره- أنه وضع ليدل على معاني مفيدة، وللجملة بنوعيها دور مهم في إفادة السامع / المتلقي.

ويعد التقديم والتأخير من بين المواضيع التي شغلت بال سيبويه، وقد نظر إليه انطلاقا مما يطرأ على عنصري الجملة من تغيير في الرتبة[3]، يقول عنه: "ضرب عبد الله زيدا"، "فعبد الله" ارتفع ههنا وشغلت به "ضرب" وانتصب "زيد" لأنه مفعول تعدى إليه فعل الفاعل، فإن قدمت المفعول وأخرت الفاعل جرى اللفظ كما جرى في الأول، وذلك قولك: "ضرب زيدا عبد الله" لأنك إنما أردت به مؤخرا ما أردت به مقدما"[4].

فالجملة الأولى "ضرب عبد الله زيدا" خاضعة للترتيب المنطقي، وهو أن يتصدر الفعل في أولها ثم يليه الفاعل فالمفعول، أما الثانية فترتيبها مخالف للأولى، إذ وقع تقديم للمفعول وتأخير للفاعل.

وحسب سيبويه فإن هذا التقديم والتأخير راجع إلى المتكلم الذي ركب الجملة، وقد أخضعها لهذا النوع من الترتيب لغرض بلاغي.

ويدل ذلك على إدراك سيبويه العميق "لفكرة التقديم والتأخير للوحدات اللغوية في التركيب وأثر ذلك في المعنى، حيث عول عليه في تحديد المستوى الدلالي للتركيب النحوي، وهو عنده يحقق أغراضا كثيرة"[5].

فالبحث في هذا الموضوع ومعرفة أغراض التراكيب ودلالتها، بحث نحوي بلاغي في آن واحد، مع أنه من أهم المواضيع البلاغية، نظرا لما يحققه من فصاحة في

---

(1)- محمد عبد المطلب- البلاغة والأسلوبية-ص46.

(2)- ابن جني- الخصائص، تج: محمد علي النجار- دار الكتاب العربي- بيروت- لبنان-331/02.

(3)- ينظر: قلايلية العربي، التقديم والتأخير في التراكيب اللغوية ، دراسة دلالية رسالة دكتوراه دولة في اللغة جامعة وهران 2001/2000 (مخطوط) ص 15.

(4)- سيبويه- الكتاب- 34/1-41.

(5)-نوزاد حسن أحمد- المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، -ط1- 1996م، ص 283.

المعاني وإعطاء فاعلية للفظة المتقدمة [1]؛أي أن رتبة التقديم والتأخير التي يخضع لها المسند والمسند إليه تكسبهما دينامية ووظيفة بلاغية.

ويمكن القول أن لسيبويه فضل "السبق في الحديث عن هذه القضية والتي أفاد منها من جاء بعده"[2].

كما تدل دراسته اللغوية على تحليله الدقيق للغة وأساليبها وأسرار تراكيبها[3].

- دارسو الإعجاز القرآني :

انطلقت طائفة من دارسي الإعجاز القرآني بالبحث في أسلوب كلام الله -عز وجل- وجمال عباراته ، لأنها رأت بأن القرآن الكريم "جنس فريد في بابه له خصوصيته في استخدام التراكيب المستحدثة التي استمدت كيانها من إمكانات النحو بشكل متفرد"[4].

فاللغة التي أخبر بها القرآن ووعد وأنذر معجزة في حد ذاتها، وبليغة، ومصدر ذلك راجع إلى حسن التركيب، لأن الإبداع النحوي في القرآن هو مناط الفضيلة ومجال الإعجاز[5].

وكان لذلك كبير أثر في الدراسات اللغوية، مما هيأ "التربة الخصبة التي نمت فيها الدراسات البلاغية"[6].

حيث عرضت في كتب الإعجاز أهم المسائل البلاغية ذات الصلة بالتركيب اللغوي وحسن التأليف.

فقد جاء في" النكت في إعجاز القرآن" للرماني (ت 382هـ) ما نصه: "أما نقض العادة فإنها كانت جارية بضروب من أنواع الكلام معروفة، فأتى القرآن بطريقة مفردة خارجة عن العادة لها منزلة في الحسن تفوق به كل طريقة"[7].

فالحسن الذي تميز به القرآن الكريم عن سائر كلام العرب، إنما كان في صياغة الجمل وترتيب الوحدات فيها، ووقع الإعجاز في جنس ما برعوا فيه.

---

[1]- ينظر: سعد أبو الرضا- في البنية والدلالة–ص 135.

[2]-نوزاد حسن أحمد- المنهج الوصفي في كتاب سيبويه- ص286.

[3]- ينظر: التواني بن التواتي- هل النحو العربي بحاجة إلى التيسير، مجلة الآداب واللغات جامعة الأغواط- الجزائر-1- ديسمبر 2003م، ص122.

[4]- محمد عبد المطلب- البلاغة والأسلوبية- ص42.

[5]- ينظر: محمد عبد المطلب – المرجع نفسه-ص 42.

[6]- شكري عياد- النقد والبلاغة، دار المعارف تونس–د.ت، ص 51.

[7]- الرماني- النكت في إعجاز القرآن- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تج: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام- دار المعارف بمصر-2ط 1968م، ص 111.

ويؤكد ذلك الخطابي (ت 388هـ) في كتابه "بيان إعجاز القرآن" بقوله: "فتفهم الآن واعلم أن القرآن إنما صار معجزا لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمنا أحسن المعاني"[1].

فأسباب إعجاز القرآن بالنسبة إلى الخطابي راجعة إلى أمور ثلاث رتبها كالآتي:

1)- فصاحة المفردات.

2)- حسن التأليف.

3)- حسن مضمون التأليف.

ويؤكد ذلك بقوله: "ولم نقتصر فيما اعتمدناه من البلاغة لإعجاز القرآن على مفرد الألفاظ التي منها يتركب الكلام دون ما يتضمنه من ودائعه التي هي معانيه وملابسه التي هي نظوم تأليفه"[2].

فتأليف الألفاظ لإصابة المعاني هو لب الإعجاز القرآني وجوهره وكان الخطابي أشد تركيزا على التركيب أو ما أسماه هو بـ: "النظم"، يقول عنه و"أما رسوم النظم فالحاجة إلى الثقافة والحذق فيها أكثر، لأنها لجام الألفاظ وزمام المعاني، وبه تنتظم أجزاء الكلام، ويلتئم بعضه ببعض فتقوم له صورة في النفس يتشكل بها البيان"([3])، فالبلاغة وحسن البيان منشأهما انتظام الألفاظ وتناسقها.

ويسير أبو هلال العسكري (ت 395هـ) على خطى المتقدمين، فقد خصص جزء في كتابه "الصناعتين" أسماه: "في البيان عن حسن النظم وجودة الرصف والسبك وخلاف ذلك".

واستخدم مصطلح الترتيب قاصدا به مراعاة موضع الكلمة في الجملة، والتزام موقعها المناسب لها، وتجنب تقديمها وتأخيرها حفاظا على سلامة التركيب ونظامه وبالتالي الحفاظ على تأدية المعنى على أحسن وجه، حيث يقول: "وينبغي أن ترتب الألفاظ ترتيبا صحيحا، فتقدم منها ما كان يحسن تقديمه، وتؤخر منها ما يسحن تأخيره، ولا تقدم منها ما يكون به التأخير أحسن ولا تؤخر منها ما يكون التقديم به أليق"[4].

فتقديم الوحدات اللغوية وتأخيرها في التركيب اللغوي يخضع لشروط وضوابط.

---

[1]- الخطابي- بيان إعجاز القرآن- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص27.

[2]- الخطابي، المصدر نفسه، ص36.

[3]- الخطابي، المصدر نفسه، ص36.

[4]- أبو هلال العسكري- الصناعتين- الكتابة والشعر، تج: محمد علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم- ط- دار الفكر العربي-1971م، ص157.

وليؤكد العسكري كلامه أورد بيتا لابن طباطبا يقول فيه :

وَعِجْلَةُ تَشْدُو بِأَلْحَانِهَا وَكَانَتِ الكَيِّسَةُ الخَادِمَةُ

معقبا عليه: "لو قال: "و كانت الخادمة الكيسة" لكان أجود ، فأما تقديم الصفة على الموصوف فرديء في صنعة الكلام جدا" [1]، فالموصوف يتقدم دائما في الرتبة على الصفة وتجاوز ذلك يؤدي إلى رداءة الكلام، وهي من الأمور التي تعاب في التواصل اللغوي، إذ من شأنها أن تعمي المعنى وتفسده.

ويذكر العسكري كذلك أهمية حسن التأليف في التركيب مقابلا إياه بسوء التأليف، إذ يقول: "وحسن التأليف يزيد المعنى وضوحا وشرحا ومع سوء التأليف ورداءة الرصف والتركيب شعبة من التعمية"[2].

فضم الكلمات ووضعها في أماكنها اللائقة بها يزيد في شرف المعنى، وخير تشبيه يضربه العسكري في سوء التركيب قوله: "كما لو حول رأس إلى موضع يد أو يد إلى موضع رجل لتحولت الخلقة وتغيرت الحلية" [3]، فانتظام الكلمات وتنسيقها لتؤدي وظيفة وتبلغ معنى شبيه بانتظام أعضاء الإنسان وحسن ترتيبها.

ويعد الباقلاني (تـ 403هـ) ممن بحثوا في إعجاز القرآن على أساس جودة التركيب، فهو يرى بأن كلام الله –عز وجل- مباين لطرق العرب في تأدية المعنى، وبأن الإعجاز واقع في النظم والتأليف والرصف[4].

ولقد جاءت نظرية النظم لمؤسسها عبد القاهر الجرجاني (تـ 471هـ) تلخيصا وتتويجا لأفكاره، وامتدادا لرؤى علماء أبدعوا في الدراسة اللغوية أيما إبداع.

وتجسد عمله في كتابين جليلين هما: "أسرار البلاغة" و "دلائل الإعجاز" حيث عرض فيهما مختلف المسائل البلاغية، انطلاقا من رؤيته للتركيب اللغوي ومقاصده ليعيد النظر والاعتبار إلى وظيفة النحو والإعراب.

وهو عنده مفتاح معاني الألفاظ والمستخرج للأغراض الكامنة فيها، ولا يمكن الحكم على تمام أو نقصان الكلام إلا به [5].

---

[1]-.أبو هلال العسكري- المصدر نفسه- ص156.
[2]-.أبو هلال العسكري- المصدر نفسه-167.
[3]- أبو هلال العسكري- المصدر نفسه- ص167.
[4]- ينظر: الباقلاني- إعجاز القرآن، تج: أبو بكر عبد الرزاق- مكتبة مصر-1994م، ص 44.
[5]- ينظر: عبد القاهر الجرجاني- دلائل الإعجاز، تج: عبد المنعم خفاجي- مكتبة القاهرة- ط 1969م، ص 75.

وقد عنى بدراسة تأليف الكلام وصياغته حيث يقول –مثلا – في مسألة التعقيد اللفظي ما نصه: "وأما التعقيد فإنما كان مذموما لأجل أن اللفظ لم يرتب الترتيب الذي بمثله تحصل الدلالة على الغرض حتى احتاج السامع أن يطلب المعنى بالحيلة ويسعى إليه من غير الطريق"[1].

فحسن الترتيب والتعليق اللفظيين يزيدان المعنى وضوحا، ولا يجد المتلقي مشقة في إدراك الغرض من التركيب، كقول الشاعر:

وَكَذَا اسْمُ أَغْطِيَةُ العُيُونِ جُفُونُهَا مِنْ أَنَّهَا عَمَلُ السُّيُوفِ عَوَامِلُ

وقد ذم عبد القاهر هذا البيت نظرا لما يتميز به من تعقيد في اللفظ يؤدي إلى الإجهاد في طلب المعنى، لأن التعقيد يستهلك المعنى ويشين الألفاظ[2] حيث يقول: "وإنما ذم هذا الجنس لأنه أحوجك إلى فكر زائد على المقدار الذي يجب في مثله بغير تعقيد:

بَيْنَ السُّيُوفِ وَعَيْنَيْهَا مُنَاسَبَةُ مِنْ أَجْلِهَا قِيلَ للأَغْمَادِ أَجْفَانُ"[3]

فالغرض من البيتين واحد، حيث أراد كل من الشاعرين أن يعبرا عن وجه الشبه الموجود بين عمل الأغماد و الجفون، فحماية الغمد للسيف كحماية الجفن للعين لكن البيت الثاني كان أكثر ملاءمة للغرض، وانساب فيه المعنى كما انسابت فيه الألفاظ في تلاحمها وتعالقها.

ففي التعقيد "تكون الكلمات واقعة على صورة من التراكيب يغمض معها المعنى، ويلتوي فيها القصد ، فلا يدرك إلا بعد جهد طويل"[4] .

فالجرجاني لا يبحث في سلامة اللفظ فقط بل"يتخير الأسلوب المناسب من بين أساليب متعددة"[5]، كما فعل في البيتين السابقين، ويقول كذلك في بيت لأبي تمام:

"يَدِي لِمَنْ شَاءَ رَهْنُ مَنْ يَذُقْ جَرَعًا مِنْ رَاحَتِكَ دَرَى مَا الصَّابُ وَالعَسَلُ.

بأنه تعسف في اللفظ وذهب به في نحو من التركيب لا يهتدي النحو إلى إصلاحه، وإغراب في الترتيب يعمي الإعراب في طريقه"[6].

---

[1]- عبد القاهر الجرجاني- أسرار البلاغة في علم البيان، تصحيح وتعليق محمد رضا- القاهرة، ص100.
[2]- ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين، تح حسن السندوبي، منشورات دار المعارف، تونس،1990، 127/01.
[3]- عبد القاهر الجرجاني- المصدر نفسه- ص100.
[4]- محمد حسين أبو موسى-دلالات التراكيب- دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، منشورات جامعة قار يونس1979، ص 38.
[5]- شكري عياد- النقد والبلاغة- ص55.
[6]- عبد القاهر الجرجاني- أسرار البلاغة-ص101.

فحديث الجرجاني عن سلامة الترتيب اللغوي، ذات صلة بالعلاقات الدلالية والبلاغية [1]، فكل تركيب يراد به غرض معين.

وللمعاني النحوية فضل عظيم في نظم الكلمات وتواليها، وهي التي "يرجع إليها صواب النظم وخطأه"[2]، لأنها بمثابة قوانين عقلية، فهي تحقق لكل مفردة في التركيب وظيفة نحوية كالفاعلية والمفعولية.

وعندما يحسن المتكلم توظيف تلك المعاني فإنه يصيب الغرض الذي من أجله سيق الكلام.

ب)- تفاعل البنية التركيبية والبلاغية عند المدرستين الوظيفية والنسقية:

ب- 1 المدرسة الوظيفية

ب-2 المدرسة النسقية

---

[1]- ينظر: عز الدين إسماعيل- الأسس الجمالية في النقد العربي، دار الفكر العربي- ط2 1968، ص 237.

[2]- قطبي الطاهر- الاستفهام بين النحو والبلاغة- دراسة مقارنة، ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر1992، ص23.

إن البحث في أسرار التراكيب والكشف عن قيمتها في تبليغ المعاني ليس حكرا على العرب فحسب، بل ذاع صيت مثل هذه الدراسة عند الغربيين، حيث شهدته مختلف المدارس من أشهرها:

المدرسة **الوظيفية**[1]، والمدرسة **النسقية**.

ب.1- المدرسة الوظيفية :

لقد دعت هذه المدرسة إلى بحث وظيفة العناصر اللغوية داخل الجملة أو التركيب، أي البحث عن الدور الوظيفي لكل عنصر لغوي، حيث "تسعى إلى اكتشاف الوظيفة التبليغية للعناصر التي يشمل عليها النص، ومؤدى ذلك أنها تبحث عن العناصر التي تقوم بدور التمييز بين المعاني"[2].

والوظائف التبليغية والتعبيرية هي التي تحدد العلاقات الأساسية للجملة مثل: وظيفة الفاعل والمفعول والمضاف.

ولا تفوتنا الإشارة إلى أن للعرب دراسة من هذا القبيل، ويتجلى لنا بوضوح في بحثهم لوظيفة الإعراب، حيث يقول عنه السيوطي (تـ911هـ) في المزهر: "من العلوم

---

(1)- تأسست المدرسة الوظيفية سنة1926- ومن أعلامها البارزين رومان ياكبسنRoman Jakobson، ونيكولاي تروبتسكوي Nicolai Troubetskoy، الذي اشتغل في علم وظائف الأصوات ضمن المفهوم الوظيفي لحلقة براغ.

(2)- أحمد عزوز- المدارس اللسانية- أعلامها، مبادئها، ومناهج تحليلها للأداء التواصلي، دار الأديب للنشر والتوزيع- الجزائر 2005م، ص109.

الجليلة التي اختصت به العرب الإعراب، وهو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ، وبه يعرف الخبر الذي هو أصل الكلام، ولولاه ما ميز فاعل من مفعول ولا مضاف من منعوت"[1].

فالتمييز بين الفاعل والمفعول بالإعراب هو بحث في وظائف العناصر اللغوية وقيمتها في تأدية المعاني.

وهو ما تميزت به المدرسة الوظيفية، فهي" تنظر إلى اللغة من جانبها الوظيفي وترى أن جميع عناصرها تعمل وتتشابك وترتبط فيما بينها من أجل خدمة الهدف التبليغي"[2].

وقد استمدت فكرة التشابك والارتباط من مفهوم دي سوسير للغة، على أنها نظام من العلامات.

ولا يتم وصف الوحدات والعناصر اللغوية لدى المدرسة الوظيفية إلا "بالنظر إلى علاقة كل عنصر بما عداه من العناصر الأخرى"[3]، فاللغة إذا شكل تتظافر فيه وحداتها لتؤدي وظيفة التبليغ ولا قيمة للوحدة بمعزل عن مثيلاتها.

وقد أصرت هذه المدرسة على دراسة "فعالية العنصر اللغوي، بحيث تصبح اللفظة في الإبداع الأدبي عنصرا حيويا له وظيفته التي لا يمكن الاستغناء عنها"[4].

وأهم ما ذهبت إليه مدرسة براغ اللسانية تحديدها لجماليات النص الأدبي، وقد اعتمد ياكبسون على ذلك ليصل إلى شعرية النص [5].

واللغة الشعرية بالنسبة إليه ليست مجرد كلمات فحسب بل هي "تراكيب مكونة من كلمات ومصنوعة بأنساق معينة، ولاشك أن هذه اللغة لا تتميز عما سواها بمضمونها وإنما ببنيتها"[6].

وتجلى عمل ياكبسون بالخصوص فيما أسماه بوظائف الاتصال، فالوظيفة الإفهامية أو الندائية -مثلا- تتعلق بالمرسل إليه، ولكي "يثير انتباه المتلقي أو يطالبه

---

(1)- السيوطي – المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرحه: د/ محمد أحمد جاد المولى وآخرون- دار الجيل- بيروت1-327/1.
(2)- أحمد عزوز- المدارس اللسانية- ص112.
(3)- أحمد عزوز- المدارس اللسانية - ص113.
(4)- شايف عكاشة – نظرية الأدب في النقدين الجمالي والبنيوي في الوطن العربي،19-ط 1994، 18/03.
(5)- ينظر: أحمد عزوز- المدارس اللسانية-ص112.
(6)- صلاح فضل- نظرية البنائية في النقد الأدبي، بيروت- ط3 1985م، ص 349.

بالقيام بعمل ما" [1]، عليه أن يختار أسلوبا من بين الأساليب المتوافرة لديه كالأمر والدعاء، وهما "صيغتان متميزتان في تركيبهما وأدائهما ونبرة وقعهما"[2].

وقد لجأ ياكبسون إلى التفريق بين نوعين من الجمل أحدهما الجمل الطلبية والأخرى الجمل الخبرية [3].

ولقي مثل هذا التقسيم للجمل –من العناية والاهتمام في جهود القدماء، ونجده في مباحث البلاغيين، أثناء تصنيفهم لأنواع الأساليب وأغراضها ضمن علم المعاني وهو "أن الكلام إما خبر أو إنشاء والخبر لابد له من إسناد ومسند إليه ومسند، والصدق مطابقة الخبر للواقع والكذب عدم مطابقته له"[4].

فإما أن يراد بالجملة الإخبار عن شيء أو طلب القيام بعمل ما حسب السياق الذي ترد فيه.

فأصبح ياكبسون من خلال سعيه في الدراسة اللسانية مؤسسا لنظرية في الشعر، وذلك باختباره للأدب في مستواه التركيبي والنصي ككل [5].

ب.2- المدرسة النسقية :

وتؤكد المدرسة النسقية [6]، كذلك على الفكرة التي قال بها دي سوسير في أن اللغة نظام ونسق من العلامات، حيث اعتمد يلمسلف في دراسته على "إظهار خصائص انتظام النص بنيويا، باعتباره شبكة تتقاطع فيه الدوال بالمدلولات ومجموع علائق بعضها ببعض"[7].

فالنص الأدبي بالنسبة إليه يشكل بنية متماسكة، تجسدها مجموع الجمل المكونة له "ومهما كان نوعه فإنه يمثل نقطة الانطلاق في التحليل باعتباره وحدة شاملة يمكن تجزئتها إلى مستويات دنيا"[8].

---

[1]- أحمد عزوز- المدارس اللسانية- ص121.

[2]-عبد السلام المسدي- الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب- ط2 1982م، ص 159.

[3]- ينظر: عبد السلام المسدي- المرجع نفسه- ص159.

[4]- السيوطي- شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان- ص09.

[5]- ينظر: صلاح فضل- بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة الكويت-1992، ص 59.

[6]- بدأ التأسيس للمدرسة النسقية على يد العالمين أوتويسبرسنOtto Jespersen وهو لدر بدرسن Holder Pedersen بكوبنهاجن، ثم تطورت بزعامة لويس يلمسلفLouis Yhelmslev وإليه تنسب هذه المدرسة، وقد تعمق في دراسته بمبادئ دي سوسير البنيوية.

[7]- عبد السلام المسدي- الأسلوبية والأسلوب- ص90.

[8]- أحمد عزوز- المدارس اللسانية- ص139.

واللغة عند رائد هذه المدرسة "بنية ذات نسيج متفرد" [1]، ونواة هذا النسيج اللغوي هي الجملة إذ تعتبر وحدة أساسية، ولابد أن تشتمل على مجموعة من السمات حددها يلمسلف كالآتي:

"1)- تتألف اللغة من مضمون وتعبير.

2)- تتألف اللغة من تتابع أي نص ونظام.

3)- يتصل المضمون بالتعبير اتصالا وثيقا خلال عملية التواصل.

4)- ثمة علاقات محددة ضمن التتابع والنظام.

5)- لا يوجد تطابق تام بين المضمون والتعبير، والعلامات نفسها قابلة للتجزئة إلى مكونات ثانوية"[2].

فاللغة بما تتميز به من أنماط التعبير تتضمن بطبيعة الحال مضمونا، وهو المعنى الذي تحويه أي جملة مركبة من العناصر الأساسية لها.

وتكشف لنا السمة الخامسة التي يرى فيها يلمسلف -بأنه ليس هناك تطابق تام بين المضمون والتعبير- عن الطاقات الإبداعية التي انفردت بها اللغة الإنسانية.

ولهذا ركز هذا العالم على دراسة الأشكال اللغوية بنوع من المنطق والمعادلات الجبرية "لأن عالم الدلالات بالنسبة إليه مشترك بين جميع اللغات إنما ينصب الاختلاف بينها في الشكل وحده"[3].

وليست هذه الفكرة غريبة على تراثنا العربي، حيث قال بها الجاحظ (ت 255هـ) في "البيان والتبيين" عندما رأى بأن المعاني مطروحة في الطريق يعرفها العربي والعجمي لأنها مبسوطة وممتدة إلى غير غاية ولكن الاختلاف يكون في أسماء المعاني وهي مقصورة معدودة[4].

والأسلوب عند يلمسلف "دال يستند إلى نظام إبلاغي متصل بعلم دلالات السياق، أما مدلول ذلك الدال فهو ما يحدث لدى القارئ من انفعالات جمالية تصحب إدراكه للرسالة"[5].

---

[1]-محمد عبد المطلب- البلاغة والأسلوبية- ص42.

[2]- أحمد مؤمن- اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر-2002، ص 161.

[3]- محمد عبد المطلب- البلاغة والأسلوبية- ص182.

[4]- ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين، 01/ 72.

[5]- عبد السلام المسدي- الأسلوبية والأسلوب- ص92.

فتصبح لغة المتكلم/المبدع أداة تعبيرية تحيل المتلقي/ القارئ إلى إدراك معاني التراكيب، ليضحى النص ككل أداة من أدوات التخاطب والتبليغ.

وقد اعتمد يلمسلف على المنهج الوصفي واعتبره أداة لإبراز الاختلاف بين أنماط وأشكال التعبير، إذ ثمة تشابك والتحام بين كل عنصر وآخر في النص [1].

وعليه يمكن تحديد العلاقات القائمة بين الوحدات اللغوية على أساس العلاقات التركيبية النحوية والتي يتخذ منها يلمسلف أسسا لبناء قواعد عامة أو ما أطلق عليه اسم القواعد الكلية [2].

وهي عنده أشبه بقواعد النحو وضوابطه إلا أنها قواعد حسابية بالدرجة الأولى.

ومثل هذه الدراسة نجدها عند الإمام عبد القاهر الجرجاني (تـ471هـ) في تحليله للعلاقات بين العناصر اللغوية حيث يقول في دلائل الإعجاز "لا نظم في الكلام ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ويبنى بعضها على بعض وتجعل هذه سببا من تلك"[3].

فأساس انتظام الكلام وترتيبه يقوم على التعليق والبناء اللذان يقعان بين الألفاظ، "ويعني عبد القاهر بالتعليق وسائط ارتباط الألفاظ التي تعبر عن المعاني النحوية"[4].

وكذلك النحو الذي ارتضاه يلمسلف في نظريته يمكن المتكلم/ المبدع التعبير عن مختلف الأغراض والمعاني، على أساس ما يتيحه له من إمكانات تعبيرية بواسطة التعليق اللفظي.

---

[1]- ينظر: أحمد مؤمن- اللسانيات النشأة والتطور- ص159.
[2]- ينظر: أحمد مؤمن- المرجع نفسه - ص167.
[3]- عبد القاهر الجرجاني- دلائل الإعجاز- ص102.
[4]- أحمد عزوز- المدارس اللسانية- ص140.

الفصل الأول

القيمة البيانية للنحو والبلاغة في التواصل اللغوي

1)- حدود الدراسة النحوية والبلاغية.

2)- الإعراب وقيمته البيانية.

3)- إشكالية المعنى في النحو وعلاقته بالتواصل اللغوي.

4)- خاصية الأسلوب وفنون القول.

أ)- المفهوم اللغوي.

ب)- المفهوم الاصطلاحي.

ج)- الدراسة الأسلوبية.

5)- قيمة البلاغة في بلوغ المعاني.

1)- حدود الدراسة النحوية والبلاغية:

أطلق العلماء والباحثون على العلوم اللغوية –منذ بداية نشأتها- مختلف الأسماء والصفات، وقد أدت هذه الأسماء إلى وضع حدود بين علم وآخر.

والمتأمل في النظام اللغوي يجده يتشكل من مستويات، أصغرها المستوى الصوتي، وأعلاها المستوى التركيبي.

ويتقاسم دراسة المستوى التركيبي كل من "علم النحو" و"علم المعاني"، لأن الكلمات المركبة بعضها مع بعض إما أن تكون تر اكيبا إسنادية أو غير إسنادية، والإسنادية من اختصاص العلمين السابقين [1].

وهذا يعني أن الجملة المفيدة هي نقطة الالتقاء بينهما ويمكن تمثيل ذلك في الرسم البياني الآتي:

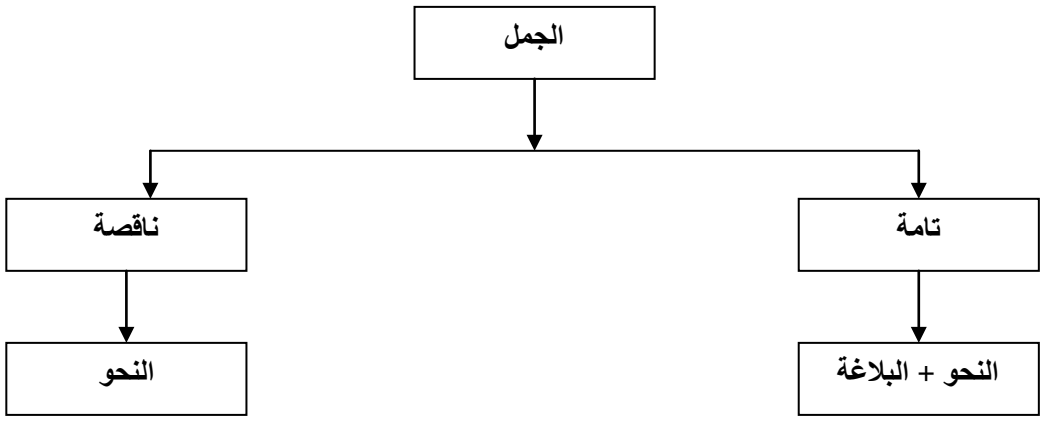

حيث يهتم النحو بتحديد المعاني ضمن الجملة وإسناد الكلمات بعضها إلى بعض، وكذلك تهتم البلاغة بتحديد المعاني ضمن الجمل.

ويقوم البحث النحوي أيضًا بدراسة أجزاء التراكيب الأساسية وغير الأساسية كالمتعلقات والمفعولات، إضافة إلى بحثه حول معاني الجمل حسب استعمالها واختلاف مناسبات القول فيها، كالاستفهام والنفي والشرط والتوكيد وغيرها[2].

وأصبح استعمال "الجملة" شائعا في الدراسة النحوية، بينما شاع استعمال "الأسلوب" في الدراسة البلاغية.

وفي البحث عن المفهوم اللغوي للنحو، نجده يدل على القصد والطريق[1].

---

[1]- ينظر: عمار ساسي- الإعجاز البياني في القرآن الكريم- دراسة نظرية في الآيات المحكمات، دار المعارف للإنتاج والتوزيع- الجزائر- ط1 2003، 222/1.

[2]- ينظر: مهدي المخزومي- في النحو العربي- قواعد وتطبيق، دار الرائد العربي- بيروت لبنان- ط2، 1986، ص 82.

والمتكلم- كذلك- يقصد وينحو طريقا أو طريقة في الكلام، محتذيا بعرف المجتمع اللغوي، ليبلغ بقصده المعاني إلى الغير.

وقد عرف ابن جني (ت 392هـ) النحو اصطلاحا -على أساس هذه النظرة- فطابق بين المفهومين اللغوي والاصطلاحي، يقول في ذلك: "النحو هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره، كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها وإن لم يكن منهم وإن شذ بعضهم عنها ردّ به إليها"[2].

فاتباع طريقة العرب في كلامها يؤدي إلى الفصاحة، أي إلى البيان والظهور، فيخرج الكلام "من حيز الإشكال إلى حيز التجلي، لأن البيان هو إظهار المعنى للنفس حتى يتبين من غيره وينفصل عما يلتبس به"[3].

فالتثنية والتحقير والإضافة وغيرها هي وسائل تجلية المعاني للنفوس وإظهارها، إذ يراد "بالفصاحة" في مفهوم ابن جني للنحو معناها اللغوي لا الاصطلاحي وهو الإبانة والظهور.

كما يدعونا هذا التعريف إلى إدراك تصور ابن جني للنحو من حيث اعتباره عادات وقدرات لسانية ترسم بوضوح معالم هذا الانتحاء، وتتيح للمتكلم اختيار طريقة التعبير وذلك بفضل اكتساب تلك المهارات[4].

ويحيل مفهوم البلاغة اللغوي إلى الوصول والانتهاء[5].

فالنحو والبلاغة شبيهان بالطريق، لكن النحو يمثل بدايته، بينما البلاغة تمثل أقصاه.

وعليه يقترب المفهوم اللغوي لكل من العلمين، إلا أننا نجد الفرق شاسعا بين الدراستين النحوية والبلاغية، ويرجع ذلك إلى تحديد مجال ومواضيع كل منهما.

فبعد أن كان النحو ممارسة وتطبيقا، أصبح عند أهله "علم نظري موضوعه حركة الكلمات في التركيب وتعبيرها عن المعاني النحوية الثلاثة: الفاعلية والمفعولية

---

(1)- ينظر: أبو القاسم الزجاجي- الإيضاح في علل النحو- تح: مازن المبارك، مكتبة دار العروبة- القاهرة1959م، ص 89.
(2)- ابن جني- الخصائص، دار الكتاب العربي- بيروت- لبنان، 34/1.
(3)- محمد مرتضى الزبيدي- تاج العروس من جواهر القاموس، دار مكتبة الحياة- بيروت لبنان- ط1 1306هـ، المجلد 150/09.
(4)- ينظر: أحمد حساني- النظام النحوي العربي بين الخطاب الفلسفي والخطاب التعليمي، مجلة تيسير النحو- منشورات المجلس الأعلى للغة العربية- الجزائر- أفريل2001، ص 400.
(5)- ينظر: ابن منظور- لسان العرب-143/02.

والإضافة"[1]، إذ يعنى هذا العلم بدراسة الحركات التي تظهر في أواخر الكلم ضمن سياق لغوي معين؛ "فزيد" مثلا يكون فاعلا في تركيب ومفعولا ومضافا في تركيب آخر، كأن نقول مثلا: "جاء زيدٌ" و "رأيت زيدًا" و "هذا صديق زيدٍ".

فالضمة والفتحة والكسرة هي المعاني النحوية التي عبر عنها "زيد" في كل جملة أو تركيب.

ويعد النحو حاليا فرعا من علم اللسانيات، ويولي اهتمامه بالوظيفة التي تقوم بها الكلمات في تشكيلها لتراكيب فعلية واسمية، وتختص الدراسة النحوية بثلاث وحدات وهي: الجملة باعتبارها الحد الأعلى في هذا العلم، وتليها الكلمة وهي المكون الأساسي للجمل والتراكيب، وتتوسطها وحدة التركيب أو السانتاجم، وتجتمع في الدراسة النحوية:

أ)- دراسة شكلية مورفولوجية للكلمات.

ب)- ودراسة الوظيفة النحوية للكملة، ويمكن تسمية هذا النوع من الدراسة باسم " مورفوسانتاكسية"[2].

وتتحدد وظيفة وعمل الكلمة بالنظر إلى ما يجاورها من كلمات وحروف تشاركها في صياغة التركيب.

فالنحو "لا يدرس أصوات الكلمات ولا بنيتها ولا دلالتها المعجمية، وإنما يدرسها من حيث هي جزء في كلام تؤدي فيه عملا معينا"[3].

كما يعنى النحو بدراسة الجمل التي لها محل من الإعراب وهي التي تؤول بمفرد والجمل التي لا محل لها من الإعراب، مما يدل على أن هذا العلم يتعلق بالبنى التركيبية، التي تنشأ بواسطة ما نحدثه من علاقة بين الألفاظ.

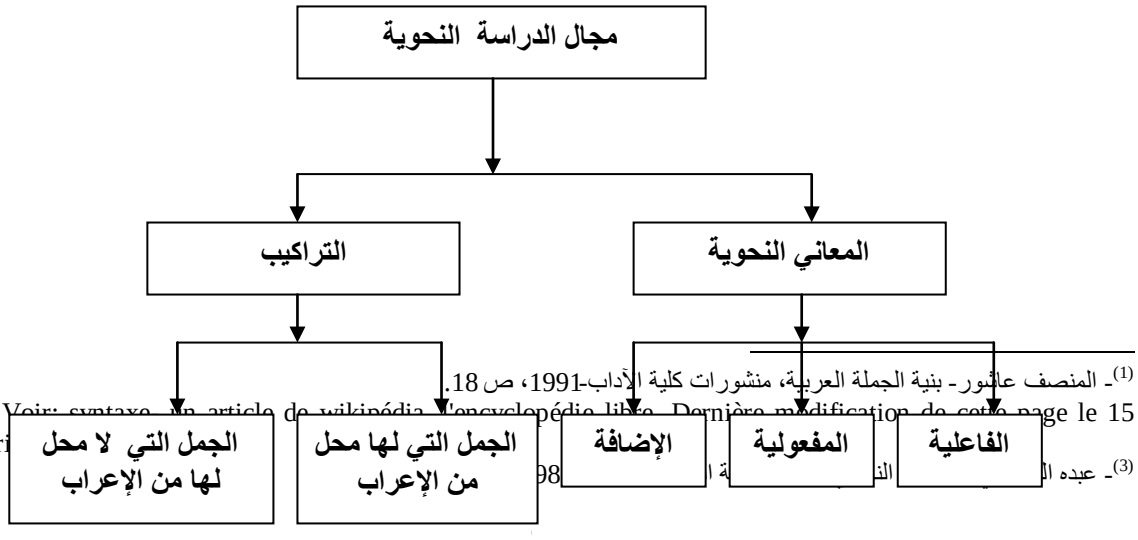

(1)- المنصف عاشور- بنية الجملة العربية، منشورات كلية الآداب-1991، ص 18.

(2) Voir: syntaxe, un article de wikipédia, l'encyclopédie libre. Dernière modification de cette page le 15 févri

(3)- عبده الـ النـ ة الـ 98

حيث تتفرع الدراسة النحوية إلى مستويين هما: مستوى المعاني النحوية للكلمات، ومستوى التراكيب أي بمستوى الجمل التي تؤول بمفرد والتي لا تؤول بمفرد.

ومقارنة بين الحدود التي رسمها أهل البلاغة لهذا العلم، نجدها تنحصر في ثلاثة علوم وهي: علم المعاني وعلم البيان و علم البديع.

وينسب هذا التقسيم إلى البلاغي المشهور السكاكي (ت 626هـ)، في كتابه "مفتاح العلوم"، إذ عمل على تلخيص هذا العلم وتصنيفه وتبويبه، وكان كتابه حافلا بمختلف الأنواع والأقسام البلاغية [1].

فأما علم المعاني فإنه يطلق على معرفة أحوال اللفظ العربي المطابقة لمقتضى الحال من الأمور الطلبية والخبرية والإنشائية وغيرها [2]، فهو يبحث في كيفية تركيب الكلام ونظمه.

ولهذا اختص "بنظام الجملة،و بما يعتريها من التغيير بالتقديم والتأخير"[3].

فالكلام على ضربين فإما أن يكون خبرا أو إنشاء، وقد تكون الجملة خبرية والغرض منها أمر آخر، فقد قال الفرزدق:

هَذَا الذِي تَعْرِفُ البَطْحَاءُ وَطْأَتَهُ وَالبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالحِلُّ وَالحَرَمُ

هَذَا ابْنُ خَيْرِ عِبَادِ اللهِ كُلِّــهِمُ هَذَا التَّقِيُّ النَّقِيُّ الطَّاهِرُ العَلَمُ[4]

فالقصد من إخبار الفرزدق عن "الإمام زيد العابدين علي بن الحسين"* هو مدحه.

وقد تخطى في وصفه حدود الاقتصاد إلى حدود الإفراط، ويصنّف هذا النوع من المدح ضمن مدح الخلفاء، "ويكون بأفضل ما يتفرع من تلك الفضائل وأجلها وأكملها

---

(1)- ينظر: حلمي مرزوق- النقد والدراسة الأدبية، دار النهضة العربية- بيروت- ط1- 1982، ص67.

(2)- ينظر: العلوي- كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، بيروت- لبنان1980م، 11/01.

(3)- حلمي مرزوق- النقد والدراسة الأدبية- ص83.

(4)- ديوان الفرزدق – تقديم كريم البستاني، دار صادر- بيروت-1966م، 178/02.

*-هو الإمام زيد العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

كعنصر الدين وإفاضة العدل، وحسن السيرة، والسياسة والعلم والحلم والتقى والورع والرأفة والرحمة والكرم والهيبة وما أشبه ذلك"[1].

ويحدد علم المعاني في ثمانية أبواب هي:

1- أحوال الإسناد الخبري.

2- أحوال المسند إليه.

3- أحوال المسند.

4- أحوال متعلقات الفعل.

5- الفصل.

6- الإنشاء.

7- الفصل والوصل.

8- الإيجاز والإطناب والمساواة[2].

فمعرفة المعاني وتحديد المقاصد لا يخرج عن حدود ومجال الكلام المركب أو المسند بعضه إلى بعض، فلابد للخبر من عناصر الإسناد الثلاثة، وإذا كان المسند فعلا ذكرت متعلقاته، وقد يكون هناك فصل أو وصل بين أنماط الجمل الإسنادية، أو أن يكون الكلام في غاية الإيجاز، أو فيه نوع من الإطناب[3].

وأما علم البيان فإن حاصله إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه، ومباحثه تشمل: الاستعارة والتشبيه والكناية وغيرها[4].

فقد يقع تركيب الألفاظ مع بعضها استعارة أو مجازا لتشكيل صورة بليغة تستهوي النفوس والعقول.

ولهذا فإن "علماء البيان هم الذين يفهمون أساليب التصوير والتمثيل وتقع عيونهم على الزبدة والخلاصة من غير ما نظر إلى ما عليه الألفاظ"[5].

حيث لا يقتصر عالم البيان في تحديده لمعنى الكلام على ظاهر اللفظ فقط، ولكنه يسعى إلى استظهار ملامح الإبداع والجمال اللغويين.

---

[1] - حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح محمد الحبيب بن الخوجة، ط2 بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1981، ص 170 .

[2] - ينظر: السيوطي- شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان- ص10.

[3] - ينظر: السيوطي- المصدر نفسه- ص10.

[4] - ينظر: العلوي- كتاب الطراز-11/01.

[5] - محمد حسين أبو موسى- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، -دار الفكر العربي- القاهرة، ص203.

تبين لنا مما سبق أن علم المعاني والبيان يقعان من جهة الألفاظ المركبة دون المفردة من حيث قيمتها الجمالية وقيمتها الدلالية والتأثيرية أيضا[1].

وبالنسبة لعلم البديع فإنه يختص بالمحسنات اللفظية، التي يجريها المرسل/البليغ في أساليبه وعباراته، فهو أداة حساسة لجلب انتباه المتلقي، ولإبقاء الصلة قائمة بينهما.

فبالإضافة إلى قدرة المحسنات البديعية على التأثير لها مضمون ودور حساس في أداء المعنى، فهي تشكل طاقة تعبيرية لإغناء المعاني في أداء منسجم أخاذ [2].

فللجناس ـ مثلا ـ قيمة معنوية وهي أن البليغ أو الأديب "يثير في استعمال هذه المحسنة اللفظية السامع مرتين:

-أولهما: حين يوهم السامع للوهلة الأولى بأن المعنى فيهما واحد.

-والثانية: حين تنتبه قدرات السامع لمعرفة المعنى المراد من الكلمة الثانية فيدرك أن المقصود بها معنى آخر وهو غير معنى الكلمة الأولى"[3].

إن وضع مثل هذه الحدود في الدراسة البلاغية-وغيرها من العلوم- يجعل منها علما نظريا أكثر من كونها ممارسة وتطبيقا في الحياة العادية، حيث أصبحت وسيلة لوصف الكلام، بعد أن كانت أداة يبلغ بها المتكلم ما يشاء من المعاني المجردة والمحسوسة، الحقيقية والمجازية.

وهي بالإضافة إلى ذلك ذات أثر فعال على المتلقي، ولهذا السبب يمكن اتخاذ البلاغة "كاستراتيجية بيداغوجية في فن القول والخطاب" [4]، لتتجاوز حدود العلم والقوانين، وتضحى تقنية لتشكيل النص اللغوي وتحليله.

---

[1]- ينظر: العلوي – كتاب الطراز- ص10-11- ورجاء عيد- فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، منشأة المعارف بالإسكندرية- ط2-د.ت، ص63.

[2]- ينظر محمد علي سلطاني- البلاغة العربية في فنونها، مطبعة زيد بن ثابت-1980م، ص 41.

[3]- محمد علي سلطاني ، المرجع نفسه- ص41.

[4]- محمد الماكري- الشكل والخطاب- مدخل لتحليل ظاهراتي، المركز الثقافي العربي- الدار البيضاء- ط1 1991م، ص33.

2)- الإعراب وقيمته البيانية:

يقترن المفهوم اللغوي للإعراب بالظهور والبيان والإفصاح، فقد جاء في لسان العرب "ورجل معرب إذا كان فصيحا، وإن كان عجمي النسب، والإعراب والتعريب معناهما واحد، وهو الإبانة، يقال أعرب عنه لسانه وعرّب أي أبان وأفصح"[1].

فالغرض من الإعراب هو تبيين الكلام وإيضاحه، وهو صفة تطلق على المتكلم والكلام معا، يقال: "أعرب بالألف إذا كان فصيحا وإن لم يكن من العرب، وأعربت عنه وعرّبته بالتثقيل وعربت عنه كلها بمعنى التبيين والإيضاح"[2].

---

[1]- ابن منظور- لسان العرب-83/10.

[2]- الرافعي أحمد بن المقري- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، دار الفكر-د.ت، 400/01.

وخص هذا المفهوم فأطلق على علم النحو، يقول ابن منظور في ذلك "والإعراب الذي هو النحو، إنما هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ، وأعرب كلامه إذا لم يلحن في الإعراب"[1].

والملاحظ أن المفهوم اللغوي للإعراب يتناسب ومفهومه الاصطلاحي في أن ألفاظ اللغة تعرب عن المعاني وذلك حسب اختلاف الاستعمال.

ولإعراب الكلمة ينبغي الإحاطة بمجموعة من الأركان وهي:

"1- العامل: وهو الذي يجلب العلامة كالفعل وحرف الجر.

2- والمعمول: وهو الكلمة التي تقع في آخرها العلامة.

3- والموقع: هو الذي يحدد معنى الكلمة، أي وظيفتها مثل الفاعلية والمفعولية والظرفية.

4- والعلامة: وهي التي ترمز إلى كل موقع، كالضمة مثلا"[2].

فكل من العامل والمعمول والموقع والعلامة مصطلحات أوجدها النحاة ليدلوا بها على وظيفة العناصر اللغوية ضمن التركيب، "والقول بأن العامل النحوي قد يكون سببا في خفاء المعنى فالعكس هو الصحيح لأننا بتحديد العوامل في الجملة نستطيع أن نحدد أركانها من فعل وفاعل ومفعول به"[3].

والعامل والمعمول –على سبيل المثال- وحدتان لغويتان تؤثر إحداهما في الأخرى وهذا دليل على ارتباط الإعراب بالتركيب أو بتأليف الأسماء والأفعال والحروف ببعضها، فهو لا يعنى بالكلمة المفردة في حد ذاتها "لأنه لا يستحق إلا بعد العقد والتركيب ومحصوله فائدة التركيب وهو إفادة الكلام"[4].

ومما يدل -كذلك –على أن الإعراب يتعلق بالتركيب، ما ذكره العلوي (ت749هـ) في كتابه "الطراز"، حيث يقول: "فالنظر في علم الإعراب إنما هو نظر في حصول مطلق المعنى وكيفية اقتباسه من اللفظ المركب، فلابد من الإحاطة بصحة التركيب"[5].

---

(1)- ابن منظور- لسان العرب-83/10.

(2)-عبده الراجحي- التطبيق النحوي- ص16.

(3)- حمروش إدريس- العامل النحوي عند النحاة الأوائل حتى القرن الخامس الهجري، مجلة تيسير النحو، ص35.

(4)- العلوي- كتاب الطراز-348/03، وينظر: كمال قادري- مخالفة الإعراب بين الخطأ والصواب- دراسة في وجوه القياس والتعليل عند النحاة، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية جامعة فرحات عباس- سطيف- دار الهدى- عين مليلة- ع3/أفريل 2004، ص 41.

(5)- العلوي- كتاب الطراز-182/01.

ولما كان الإعراب يرتبط بالتركيب والتأليف اللغويين، فقد أصبح من أهم العلوم التي "يحترز بها عن الخطأ والغلط في المركبات ليحصل المعنى على صحته واستقامة أحواله"[1]، فمعرفته والفقه به واجب لضبط المعاني المتشاكلة.

فهناك تراكيب متشابهة بحيث يؤدي إغفال الإعراب فيها إلى الإشكال في معانيها، ومثال ذلك: أكرمتك وزيد، وأكرمتك وزيدا، فإن زيدا في التركيب الأول معطوفة على الفاعل المتكلم، أي أن المتكلم وزيد أكرما المخاطب، و يدل التركيب الثاني على أن المتكلم أكرم المخاطب وزيدا، فالإكرام واقع على زيد وعلى المخاطب[2] كما هو واضح وجلي بالإعراب.

فالتماس الوضوح في التراكيب بالإعراب إنما هو التماس لنجاح التواصل اللغوي.

والحركات الظاهرة على أواخر الكلم هي بمثابة علامات على اختلاف المعاني وتباينها لأن "الألفاظ تبقى مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها"[3].

والمعاني التي تكتسبها الألفاظ تتجلى في وظائفها النحوية وهي: وظيفة الفاعل والمفعول والمضاف.

وقد أكد السيوطي (ت 911هـ) في كتابه "المزهر" على دور الإعراب في تجلية المعاني، حيث يقول: "فأما الإعراب فبه تتميز المعاني ويوقف على أغراض المتكلمين، وذلك أن قائلا لو قال:" ما أحسن زيد" غير معرب لم يوقف على مراده، فإذا قال: ما أحسن زيدا أو ما أحسن زيد أو ما أحسن زيد أبان بالإعراب عن المعنى الذي أراده، وللعرب في ذلك ما ليس لغيرهم فهم يفرقون بالحركات وغيرها بين المعاني"[4].

والفكرة الجوهرية التي ميزت قول السيوطي هي ربطه الإعراب بغرض المتكلم أو القائل، أي أن الحركات الإعرابية ذات علاقة بغرضه وقصده، فهي تكشف عما يريد توصيله إلى المتلقي.

فالألفاظ المتكافئة التي استشهد بها السيوطي إن كانت من غير إعراب فهي تدل على ثلاث معان: التعجب والنفي والاستفهام، فحركة الإعراب "تنقل المعنى من أسلوب

---

(1)- العلوي- المصدر نفسه-182/01.
(2)- ينظر: فاضل صالح السامرائي- الجملة العربية والمعنى، دار ابن حزم- بيروت- ط1 2000م، ص 36.
(3)- عبد القاهر الجرجاني- دلائل الإعجاز- ص75.
(4)- السيوطي- المزهر في علوم اللغة وأنواعها– 329/01.

إلى آخر، وهنا تلتقي النظرة الإعرابية عند النحاة بالنظرة الأسلوبية عند البلاغيين، فالعلامة الإعرابية تدل على المعنى البلاغي المراد"[1].

و بالإضافة إلى دلالة الإعراب على المعاني والأغراض، فإن في تحصيله وإتقانه أمن من زلل اللحن وسقطه، ودليل ذلك اللحن الذي وقع في الآية الكريمة: ﴿إِنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ المُشْرِكِينَ وَرَسُولَهُ﴾[2].

فعطف الرسول على المشركين أدى إلى تغيير معنى الآية، لأن الأصل في العطف أن يقع على لفظ الجلالة لا على المشركين، وقد وقع هذا الخطأ من طرف الباث الذي قرأ هذه الآية على الأعرابي، وبفعل ذلك وصلت الرسالة محرفة إلى المتلقي، فكان أن أعلن عن تبرئه من الرسول ρ [3].

وقد اشتملت هذه الآية الكريمة على قيمة بلاغية تتجلى في التقديم والتأخير، فتقديم لفظ الرسول ρ على المشركين -مثلا- يكون له أثر لغوي، فيصبح التركيب على النحو الآتي: "إِنَّ اللهَ وَرَسُولَهُ بَرِيئَانِ مِنَ المُشْرِكِينَ".

ولهذا الأثر اللغوي أثر معنوي كذلك، إذ يروى عن سبب نزول هذه الآية أنه كانت عهود بين رسول الله ρ وبين الناس من أهل الشرك ،فتخلفوا عنها ، فنزلت فيهم سورة براءة "التوبة"، وفيها إعلام من الله ورسوله ρ إلى الناس في يوم الحج الأكبر أن الله و رسوله ρ من عهد المشركين بريئان[4].

فالخطاب موجه إلى الناس من أهل الشرك، وليقر الله لهم بوحدانيته أخبر عن نفسه بالبراءة أولا، فجاء الخبر "بريء" مفردا تأكيدا لذلك، ولكي يكون صفة من صفات الله الراسخة.

---

[1]- قطبي الطاهر- الاستفهام بين النحو والبلاغة- ص35.
[2]- سورة التوبة- الآية رقم03.
[3]- ينظر: عبد القادر بن عسلة- التفاعل التواصلي والمنهج التحويلي في تعليمية القواعد- التعليم الثانوي نموذجا، رسالة لنيل شهادة الماجستير في العلوم اللغوية والاتصال- السنة الجامعية2004، ص02، (مخطوط).
[4]- ينظر: الإمام الطبري- جامع البيان عن تأويل آي القرآن- المجلد4198/06.

3)- إشكالية المعنى في النحو وعلاقته بالتواصل اللغوي:

إن البحث في اللغة الإنسانية -عموما- هو بحث في قيمتها البيانية، لأنها وجدت لتبين وتدل؛ ولولاها لما استطاع الإنسان أن يعبّر وينقل المعاني إلى غيره، ويتم ذلك "بصور متعددة ومختلفة في تراكيب اسمية وفعلية، بما في ذلك من صلات وأسرار بين أجزاء الجملة"[1]، فالجملة بنوعيها وبما يحدث فيها من تقديم أو تأخير أو زيادة أو حذف هي أساس التواصل اللغوي، ونجاحه مرهون بحسن استغلال علاقة الوحدات اللغوية فيها.

ولا يمكن بأي حال من الأحوال التواصل بالمفردات منعزلة عن سياقها اللغوي؛ لأن "اللفظ المفرد من حيث هو لا يؤدي إلا معنى مفردا، والمعاني المفردة لا تكون لغة، وإنما الجمل والتراكيب هي التي تكوّنها"[2].

والمعاني المتوخاة من التركيب أشرف من المعاني المتوخاة من المفردات فلا قيمة للكلمة المفردة إلا باحتلالها لموضع ونسق معينين ولولا ذلك لما كان للمعنى أي وجود[3].

كما يحدث في التركيب تفاعل دلالي بين المفردات ووظائفها النحوية، والمفردات لابد لها من نظام نحوي يحكمها ويربط ما بينها[4]، لأن ذلك من شأنه أن يكسبها أهمية و أفضلية، ويصبح للكلمة دور دينامي في الجملة.

وإن "البحث في مشكلة دلالات الألفاظ والتراكيب قديم في اللغات وهو متفرق في دراسات كثيرة من أشهرها النحو" [5]، حيث اهتم اللغويون والنحاة أمثال سيبويه (ت 180هـ) بدراسة علاقة التركيب بالمعنى وأثر تعليق الكلمات وتركيبها في وضوح الدلالة.

---

(1)- حسن عون- تطور الدرس النحوي، القاهرة-1970م، ص 42.
(2)- حسن عون- المرجع نفسه- ص42.
(3)- ينظر: منذر عياشي- اللسانيات والدلالة– الكلمة، مركز الإنماء الحضاري حلب- ط1، 1996م، ص 47.
(4)-ينظر: محمد حماسة عبد اللطيف- النحو والدلالة– مدخل لدراسة المعنى النحوي- الدلالي، دار الشروق- بيروت- ط1، 2000م، ص162-174.
(5)- مصطفى ناصف- نظرية المعنى في النقد العربي، دار الأندلس للنشر والتوزيع- ط2- 19981م، ص 07.

"فموضوع هذا العلم ومجال عمله وعمل رجالاته هو الجملة العربية ذات المعنى"[1]، أو التي يحسن السكوت عليها إن اشتملت بالضرورة على المسند والمسند إليه، وهما العنصران الرئيسيان في تشكيلها.

فلابد أن يمتد تصورنا للنحو إلى الدلالة اللغوية في الجملة أو التركيب، وبأن لا تكون هناك غرابة في بحث المعنى ضمن القضايا النحوية [2]، لأن علاقة المعنى بالنحو وطيدة لا محالة والفصل بينهما مستحيل وهذا راجع إلى عدة أسباب من أهمها:

1)- إن هدف اللغة الأول هو توصيل معنى واضح من المتكلم إلى المخاطب، وقد وجد النحو لتأمين نجاح هذه المهمة والحرص على أدائها على أفضل وجه ممكن [3]، فالنحو بمثابة المقيم للألسنة تجنبا للوقوع في الأخطاء المتعلقة بالتراكيب.

2)- ومن حظ النحو أن كانت له الريادة والأسبقية في الظهور عن باقي العلوم اللغوية الأخرى، لارتباطه الشديد آنذاك بالاستعمال الفعلي للغة، وحفاظا منه على النص القرآني كذلك، فعلم النحو هو خط الدفاع الأول عن هذه اللغة، أو هو كما يرى جمهور العلماء الحصن المنيع للغة العربية ضد أي لحن أو تحريف أو فساد لغوي[4].

والدليل القاطع على ارتباط النحو بالمعنى واتصاله الشديد بحسن التواصل اللغوي، ما يذكره النحاة واللغويون أمثال الزجاجي (ت 329هـ)، في أسباب نشأة هذا العلم حادثتين* وقعتا لأبي الأسود الدؤلي (ت 68هـ) -مؤسس علم النحو-، وفحواها أن "أبا الأسود الدؤلي دخل على ابنة له بالبصرة فقالت له: يا أبت ما أشد الحر! متعجبة وقد رفعت أشد، فظنها أبو الأسود مستفهمة فقال الحصباء بالرمضاء، فقالت: يا أبت إنما أخبرتك ولم أسالك"[5]، فمن هذه الرواية يمكننا تمييز عناصر الاتصال كما يأتي:

1)- المرسل: ابنة أبي الأسود الدؤلي.

2)- المرسل إليه: أبو الأسود الدؤلي.

3)- الرسالة: تعجب ابنة أبي الأسود من شدة الحر.

4)- الشفرة أو الرمز: ما أشد الحر.

---

(1)- عبد الله أحمد جاد الكريم- المعنى والنحو، مكتبة الآداب- القاهرة-ط1-2002م، ص 21.
(2)- ينظر: حسن عون- تطور الدرس النحوي- ص92-93.
(3)- ينظر: عبد الله أحمد جاد الكريم- المعنى والنحو- ص22.
(4)- ينظر: عبد الله جاد الكريم- المرجع نفسه- ص04-05.
* - وترجح الحادثة الأولى على الثانية لصحتها.
(5)- أبو القاسم الزجاجي- الإيضاح في علل النحو- ص85.

5)- القناة: عبر الأثير (رسالة سمعية).

6)- المرجع: المرجع ذو علاقة بالظرف الطبيعي الذي جمع بين المرسل والمرسل إليه، حيث كان تقرير ابنة أبي الأسود يتعلق بوصف الظرف أو المناخ، فهي مقررة لا مستفهمة.

ولقد أساء أبو الأسود الدؤلي فهم قصد الرسالة الناتج عن الحركة الإعرابية التي لحقت كلمة "أشد"، فكان ينبغي أن تأتي بالنصب بدل الرفع، لأن التعجب في العربية يستلزم النصب وصيغتاه معروفتان وهما: ما أفعله!، وأفعل به!.

والغرض من تعجب البنت –حسب الرواية- هو الإخبار عن شدة الحر بقولها: "يا أبت إنما أخبرتك"، فكان بإمكانها أن تخبره بالجملة الآتية مثلا: "الحر شديد" ولكي تظهر الشدة عن الحر تطلب منها التقديم، فأدى ذلك إلى استعمالها لأسلوب التعجب، لأنه أشد توكيدا من الجملة الخبرية السالفة الذكر*.

وبالتالي فإن جملة 1- الحر شديد= أسلوب خبري.

2- وما أشد الحر= أسلوب تعجب غرضه الإخبار.

انطلاقا مما سبق يمكن تسجيل ملاحظتين جوهريتين:

1- القضية المطروحة في رواية أبي الأسود الدؤلي، هي قضية نحوية بلاغية في الوقت نفسه، إذ ينبغي تجاوز النظر في الحركة الإعرابية إلى النظر في الأسلوب ككل.

2- البلاغة من غير نحو –في مثل هذا المقام- لا تؤدي وظيفتها على أكمل وجه، والدليل على ذلك واضح، فعدم توفر الحركة الإعرابية المناسبة في أسلوب التعجب، وهو من أهم الأساليب الإنشائية غير الطلبية، أدى إلى سوء فهم الرسالة وبالتالي إعاقة التواصل اللغوي.

ويمكننا القول إن "المعنى والحرص عليه سليما بعيدا عما يشينه كان من الأسباب الرئيسية التي دفعت العرب إلى التفكير جديا في وضع علم النحو، ومن المشهور أن

* - يذكر المبرد في الجزء الرابع من "المقتضب" ص186، 187، أن أسلوب التعجب يفيد كثرة الشيء وتقويته حيث يقول: "لأن قصد التعجب الكثرة فإذا تؤول على القلة زال معنى التعجب" ومن الأمثلة التي استشهد بها :مَا أَحْسَنَ رَجُلاً من بني فلان"، معقبا عليه: "حتى تقويه بشيء يوجد فيه".

غموض المعنى والتباسه هو الذي دفع أبا الأسود إلى وضع علم يحافظ على اللغة وهيبتها ودورها"[1] في توصيل المعاني.

وقد طرحت حديثا قضية بالغة الأهمية في الدراسات النحوية، خصوصا لدى التحويليين وهي تتعلق بطبيعة الصلة بين التركيب والمعنى[2].

فإغفال شومسكي – Noam CHOMSKY- مؤسس المدرسة "التحويلية التوليدية لعنصر المعنى في دراسته جعلته يعيد النظر في نظريته، حيث قام بتعديلها في كتابه" مظاهر النظرية التركيبية" عام 1965، وأكد فيه على دور المعنى في فهم التركيب، بعد أن أهمله في كتابه "البنى التركيبية" متأثرا في ذلك بعمل تلاميذه "كاتز Katz" و "وبوسطل Postal"[3].

والمتأمل في هذه القضية يجدها حاضرة بقوة في تراثنا العربي القديم، وتتجلّى بوضوح في التعريف الذي أورده السيوطي لمفهوم النحو، الذي نصه أن "النحو صناعة علمية ينظر بها أصحابها في ألفاظ كلام العرب من جهة ما يتألف بحسب استعمالهم، لتعرف النسبة بين صيغة النظم وصورة المعنى"[4].

فالدراسة النحوية لا تنفك عن المعنى فهو غايتها وهدفها، وما تتابع الألفاظ في شكلها الخارجي إلا تعبير عن المقاصد والدلالات.

ويشير التعريف الذي أورده السيوطي إلى "تصور للنحو ولوظيفته إذ يختص هذا العلم بدراسة قوانين التراكيب أو نظم العربية ووظائف مكوناتها والصلة بين النمط التركيبي ومدلوله في إطار ما تواضع عليه العرب في استعمال لغتهم"[5].

فالتركيب اللغوي يقوم أساسا على نقل فكرة معينة من المرسل إلى المرسل إليه.

والتركيز على الشكل الخارجي للغة في الدراسة النحوية، يعد قصورا من الباحثين، وعليه فإن "النحو هو كل شيء، ووضع اللفظ إلى جانب اللفظ أو تعليق اللفظة باللفظة وضعا تمليه قواعده هو أساس المعنى الذي يدل عليه الوضع"[6].

---

[1]- عبد الله أحمد جاد الكريم- المعنى والنحو- ص19.

[2]-ينظر:مبروك سعيد- في إصلاح النحو العربي- دراسة نقدية،- دار القلم- الكويت- ط، 1985م، ص 05.

[3]- ينظر: أحمد عزوز – المدارس اللسانية- ص175.

[4]- السيوطي- الاقتراح في أصول النحو، تح: محمد حسن إسماعيل الشافعي- دار الكتب العلمية- بيروت-لبنان-ط 1998م، ص 14.

[5]- مبروك سعيد- في إصلاح النحو العربي- ص04-05.

[6]- بدوي طبانة- البيان العربي- دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى، مطبعة الرسالة- مصر- ط 3 1962، ص 167.

والنحو "بوصفه قوانين اللغة في تصرفها بين الأغراض والمقاصد من الطبيعي أن يكون محققا لتلك الوظيفة الأساسية، من خلال الوفاء بمطالب الاستعمال في الكلام"[1].

فالقوانين المفروضة في هذا العلم لا تحد من قيمته البيانية، بل وجدت لتؤمن الوظيفة التواصلية.

وتعد المعاني المؤداة بالنحو كالأصباغ في الرسم، والاهتداء إلى ضرب من التخير ومعرفة المقادير والمواقع والكيفيات يؤدي حتما إلى الإبداع والتفنن في الأساليب[2].

وللإجادة في التخير ومعرفة المقادير فضل عظيم في معرفة لطيفة بأسرار التراكيب، وهو ما وقع في القصة المشهورة التي رويت عن الكندي ، حين رأى بأن هنالك تراكيب متشابهة والمعنى فيها واحد، معتقدا أن ذلك حشوا وزيادة في الكلام.

والتراكيب التي كان يقصدها الكندي هي على النحو الآتي:

1- عَبْدُ اللهِ قَائِمٌ.

2- إِنَّ عَبْدَ اللهِ قَائِمٌ.

3- إِنَّ عَبْدَ اللهِ لَقَائِمٌ.

ومن الملاحظ أن هذه التراكيب متطابقة تقريبا، فالمسند "قائم" والمسند إليه "عبد الله" متوافران في كل منها، وطريقة ترتيب الوحدات اللغوية فيها متشابهة، لكن الأدوات التي دخلت عليها تختلف من جملة إلى أخرى بالزيادة أو النقصان؛ فالأول العاري عن التأكيد إنما يفيد الخالي الذهن، والثاني المؤكد بإنَّ يفيد المتردد، والثالث يفيد المنكر، فهي مغايرة كلها في الدلالة وإن استوت عن طريق الإعراب[3].

وقد رد المبرد (ت 285هـ) على الكندي مؤكدا له اختلاف معاني تلك الألفاظ المتكررة بقوله: "فقولهم: "عبد الله قائم" إخبار عن قيامه، وقولهم: "إن عبد الله قائم" جواب عن سؤال سائل، وقولهم: "إن عبد الله لقائم" جواب عن إنكار منكر قيامه، فقد

---

[1]- عبد الجبار توامة- المنهج الوظيفي العربي الجديد لتجديد النحو العربي، مجلة تيسير النحو، ص278.

[2]- ينظر: مصطفى ناصف- نظرية المعنى في النقد العربي- ص18.

[3]- ينظر: عبد الرحمن ابن خلدون- المقدمة، دار الفكر بيروت- لبنان-2002م، ص 572.

تكررت الألفاظ لتكرر المعاني" [1]، ليؤكد له أن لكل مقام مقال، وأن هناك "علاقة وشيجة بين الجملة وخليفتها المقامية"[2].

فلو أن أحدا أخبر عن قيام عبد الله بالجملة الأولى إلى من أنكر ذلك لتعذر عليه إقناعه.

وبالتالي فإن "مطابقة الجملة لخليفتها الوظيفية يحقق فصاحتها وصحتها"[3].

وعليه ركز علماؤنا وعلى رأسهم سيبويه والجرجاني على وظائف النحو، واعتبره عبد القاهر أداة لا غنى عنها في معرفة المعاني الخفية التي يوجدها موقع الكلمات وطريقة تسلسلها.

وقد ذهب إلى أن الزهد في النحو أشبه بأن يكون صد عن كتاب الله وعن معرفة معانيه[4].

فتغيير المواقع مثلا في القرآن الكريم والخطأ في الحركات يسبب الإشكال في المعاني.

والآية التي نستشهد بها في ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ﴾[5]، ويرجع التقديم والتأخير فيها إلى اشتمالها على أسلوب القصر، حيث يتطلب هذا الأخير تأخير المقصور عليه وهو "العلماء"، والمعنى من ذلك هو اقتصار الخشية من الله على العلماء، فالمفعول به مقدم وجوبا والحركة المناسبة للفظ الجلالة هي الفتحة والخطأ فيها يؤدي إلى الكفر والعياذ بالله.

وكان للقرآن الكريم فضل عظيم في إغناء وتطوير النحو "فاللغة التي توجه إليها النحاة هي هذا النص الذي هو مناط الأحكام في الحياة الإسلامية" [6], ومناط القوانين والضوابط التي استنبطها العلماء والنحاة منه، وجعلوه في المرتبة الأولى عند الاستشهاد بأية قاعدة نحوية كانت، ولهو دليل على جودة النحو القرآني، وبأنه "يقوم على حسن النظم ومتانة التركيب وقوة الصياغة"[7]، في مقابل المعاني الشريفة.

---

[1]- عبد القاهر الجرجاني- دلائل الإعجاز- ص242.
[2]- ينظر: عبد الجبار توامة- المنهج الوظيفي العربي الجديد لتجديد النحو العربي، مجلة تيسير النحو، ص282.
[3]- عبد الجبار توامة- المرجع نفسه- ص282.
[4]- ينظر: عبد القاهر الجرجاني- دلائل الإعجاز- ص75.
[5]- سورة فاطر- الآية28.
[6]- عبده الراجحي- النحو العربي والدرس الحديث- ص49.
[7]- عبد العال مكرم- القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، دار المعارف مصر1968م، ص 321.

وهو ما يجعل النحو ضروريا لكل أنواع الدراسات في الفقه والتفسير والأدب وغيرها[1].

ومن خلال تقرب الباحث من النصوص اللغوية على اختلاف أجناسها يفتح بذلك للدراسة النحوية آفاقا جديدة، فتتجلى قيمة النحو الحقيقية[2].

[1]- ينظر: عبده الراجحي- التطبيق النحوي- ص06.
[2]- ينظر: محمد حماسة عبد اللطيف- النحو والدلالة- ص34.

4)- خلصية الأسلوب وفنون القول:

أ-المفهوم اللغوي:

ينبئ السعي اللغوي الدؤوب عن قيمة الظاهرة اللغوية ومدى أهميتها في الحياة البشرية، بحيث أصبح البحث فيها حركة متجددة لا يمكنها الوقوف عند حد معين.

ولما كان الأسلوب جزءا لا ينفصل عن الإبداع اللغوي فلقد لقي حظه من العناية والتحليل.

وأصل اشتقاقه من مادة (س، ل، ب)، وقد جاء في أساس البلاغة "سلكت أسلوب فلان: طريقته وكلامه على أساليب حسنة"[1]؛ فالأسلوب هو اتباع طريقة أو منهج معين في التعبير.

ويذكر ابن منظور في المفهوم اللغوي له، ما نصه: "ويقال للسطر من النخيل: أسلوب وكل طريق ممتد فهو أسلوب، والأسلوب الطريق والوجه والمذهب، يقال: أنتم في أسلوب سوء ويجمع أساليب والأسلوب الطريق تأخذ فيه"[2].

والواضح مما سبق أن كلمة "أسلوب" ترتبط ارتباطا بالطريق الممتدة أو المستقيمة التي يسلكها الإنسان.

ويطلق ليوصف به الكلام، ومنه أن "الأسلوب بالضم: الفن، يقال أخذ فلان في أساليب من القول أي أفانين منه" [3]، ويعني ذلك أنه يتخذ وسيلة للتعبير بطريقة فنية مبتكرة لا تتوفر للجميع.

واشتقت كلمة "أسلوب" في المفهوم الغربي من " Stilus" أي أداة تستخدم للكتابة[4].

ب-المفهوم الاصطلاحي:

لقد تعددت المفاهيم الاصطلاحية للأسلوب، بحيث أعطى كل باحث مفهوما يتناسب واهتمامه بالظاهرة الأدبية.

---

(1) - الزمخشري – أساس البلاغة – ص 304.
(2)- ابن منظور- لسان العرب-225/07.
(3)- ابن منظور – لسان العرب-225/07.
(4) -voir Jaques Demougin- dictionnaire des littératures, P1540.

فهو يمثل عند البعض "جسرا يوصلنا إلى مقاصد صاحبه من حيث إنه قناة العبور إلى مقومات شخصيته" [1]، إذ نتوصل من خلاله إلى تحديد خصائص وملامح لغة الكاتب، والأغراض التي يسعى إلى نقلها.

ويعمل صاحب الأسلوب على خلق الفكرة ويولدها ويبرزها في الصورة اللفظية المناسبة [2]، فيختار لمعانيه ويفصل لها من الأنماط اللغوية ما يناسبها فالأسلوب هو طريقة لنقل الأفكار والتعبير بتراكيب متميزة، لأنه بمثابة "المعنى واللفظ في آن واحد، إذ تشتمل تركيبته الفنية عناصر مختلفة يستمدها الفنان من ذوقه، وتلك العناصر هي الأفكار والصور والعواطف ثم الألفاظ المركبة والمحسنات المختلفة" [3]، مما يخلق لنا نصا متميزا بخصائص لغوية منفردة.

ويمكن توضيح عناصر الأسلوب في الشكل البياني الآتي:

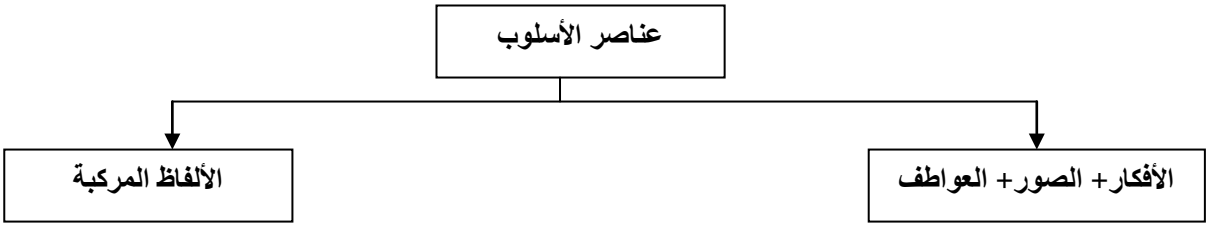

وهو يعني أيضا "مجموعة من الإمكانيات تحققها اللغة، ويستغل الكاتب الناجح منها أكبر قدر ممكن، والذي لا يهمه تأدية المعنى وحسب بل ينبغي أن يوصل الفكرة بأوضح السبل وأحسنها وأجملها"[4]، فمن وظائف الأسلوب الأساسية والكبرى التوصيل والتأثير وتحقيق المتعة للمتلقي.

ويشكل من منظور آخر انزياحا عن قواعد اللغة فقولنا مثلا: "سال ماء الوادي"، قول مألوف، أما قولنا "سال الوادي" فابتعاد عن المألوف وخروج عن المستعمل[5]، مما يتيح للمتكلم / المبدع حرية التعبير بإيقاع علاقات جديدة بين العناصر والوحدات اللغوية.

ونجد عند الغربيين –كذلك- تعريفا آخر للأسلوب، يقول فيه بيير جيرو – Pierre Guiraud- على سبيل التمثيل: "هو طريقة في الكتابة لكاتب من الكتاب ولجنس من

---

(1) - عبد السلام المسدي – الأسلوبية والأسلوب، ص68.
(2)- ينظر: بدوي طبانة- البيان العربي- ص287.
(3)- بدوي طبانة- المرجع نفسه- ص288.
(4) - ريمون طحان –الألسنية العربية، النحو، الجملة، الأسلوب، الخاتمة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1981، –ص 117.
(5)- ينظر: موريس أبو ناضر- إشارة اللغة ودلالة الكلام- ص85.

الأجناس ولعصر من العصور"[1]، فالطابع المتميز والفريد للظاهرة الأسلوبية لا ينطبق على المبدع فحسب بل ويخص كذلك النوع الأدبي كأن يكون شعرا أو نثرا ويتميز من زمن إلى آخر.

ج- الدراسة الأسلوبية:

أدت طبيعة الأسلوب اللغوية إلى شد اهتمام المحللين والدارسين اللسانيين إليه، وهو ما ساهم في نشأة الأسلوبية ضمن التوالد المعرفي الذي تشهده العلوم.

فلا يمكن أن نعتبرها بديلا عن علم البلاغة، بل هي رافد من روافد البحث اللغوي ومنهج من مناهجه يدعم العلوم الأخرى ويمدها بآليات جديدة[2].

ويعد تناول الأسلوب في ذاته ومن أجل ذاته "محاولة منهجية ترتكز على فهم النص من خلال لغته وإدراك علاقاته الداخلية للكشف عن قيمته الفنية بنيويا التي يتجلى فيها تحول الحقائق اللغوية إلى قيم جمالية"[3]، بحيث تنظر هذه الرؤية اللسانية للأسلوب على أنه بناء لغوي فتحلل وحداته الدالة مكتشفة بذلك عن الوسائل البيانية والتأثيرية التي وظفها صاحب الأسلوب.

وعليه يمكن القول أن علم الأسلوب لا يهتم بالعناصر اللغوية في حد ذاتها وإنما بقوتها التعبيرية، لأن "العناصر اللغوية قواسم مشتركة بين أبناء المجتمع اللغوي" [4]، وصانع الأسلوب هو الذي يجيد ضم تلك العناصر وإيقاع نسب بينها بطريقة فنية مبتدعة.

وتعد كل من المدرستين الوظيفية والتحويلية التوليدية من أشهر المدارس التي تبنت تحليل النصوص اللغوية من وجهة نظر أسلوبية.

بحيث أضحى الأسلوب بالنسبة للمحلل اللساني الوسيلة والغاية في آن واحد، ويمكن تجزئة الكلام إلى وحدات تشكل في مجموعها عناصر مرتبة بشكل بنيوي [5]، الأمر الذي يقودنا إلى تفهم الأسلوب انطلاقا من عناصره المكونة له.

ولئن كانت الأسلوبية تعتمد على التقسيم الذي تبناه ديسوسير بين اللسان والكلام حيث كان لهذه الثنائية فضل الإسهام في تطوير الأسلوبية البنائية [1]، فإن رومان

---

(1) - بيير جيرو –الأسلوبية، تر منذر عياشي– مركز الإنماء الحضاري– ط2 -1994، ص 09.
(2) – ينظر: قلايلية العربي– التقديم والتأخير في التراكيب اللغوية–دراسة دلالية ، (مخطوط)، ص40.
(3)- سعد أبو الرضا- في البنية والدلالة، الناشر منشأة المعارف، الإسكندرية، ص21.
(4)- محمد عبد المطلب- البلاغة والأسلوبية- ص183.
(5) - ينظر موريس أبو ناضر –إشارة اللغة ودلالة الكلام- ص93.

ياكبسون "يركز على التفرقة بين ثنائية (الرمز /الرسالة) في الوظيفة التعبيرية فهو يراوح بين الدراسة اللغوية والوظيفة الأدبية"[2]، ليتوصل بذلك إلى تحديد معالم الشعرية في الحدث اللساني.

وهو أساس ما سعى إليه في بحوثه بحيث "تتجلى شعرية النص في الدلالات الخاصة التي تتصل بجمال الخطاب، عن طريق دراسة الإبداع والتركيب وبحث التقنيات المكونة للعمل الأدبي والطريق الذي يمضي به إلى أن يكون عملا فنيا" [3]، فجمالية الخطاب وفنيته راجعتان إلى مظهره الحيوي، ففيه تتجلى مهارات المبدع وقدراته التبليغية.

وأما رائد المدرسة التحويلية التوليدية فإنه يرى في النحو بأنه "المدخل الصحيح لدراسة النص الأدبي من حيث قدرته على كشف الطاقات الكامنة في الأسلوب"[4].

وتتمظهر الطاقة الكامنة للغة في شكلها الأدائي أي السطحي؛ ويمثل نظام الجملة بالنسبة لشومسكي النمط المثالي لبنائها[5]،

وقد بنى شومسكي نظريته على ثنائيتين هما:

- الأولى: الكفاءة اللغوية والأداء اللغوي.
- الثانية: البنية السطحية والبنية العميقة.

وعلى هذا الأساس "تتجمع شبكة العلاقات في شكلها العميق من خلال النحو بمعناه العام، وتتجمع كذلك في شكلها السطحي على المستوى الصوتي"[6].

ويهدف تحليله البنائي للأسلوب إلى عدم جعل النص حاصل جمع آلي للعناصر التي تؤلفه، بل هو مجموع العلاقات والصلات التي تربط العناصر ببعضها[7].

وبغية اكتشاف بواطن العمل الأدبي واستنهاض معطياته، عول شومسكي على مباحث التراكيب بتحليلها والوقوف على دلالاتها ورصد بناها[8].

---

[1]- ينظر:. خيرة حمر العين- جدل الحداثة في نقد الشعر العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب- ط 1997م، ص143.
[2] - خيرة حمر العين –المرجع نفسه، ص 144.
[3]- مختار عطية –التقديم والتأخير ومباحث التراكيب بين البلاغة والأسلوبية، دار الوفاء الإسكندرية، 2005، ص 109.
[4]- محمد عبد المطلب- البلاغة والأسلوبية- ص147.
[5] – ينظر: مختار عطية –التقديم والتأخير ومباحث التراكيب- ص64.
[6]- محمد عبد المطلب- المرجع نفسه- ص151.
[7] – ينظر: مختار عطية –التقديم والتأخير ومباحث التراكيب- ص109.
[8] – ينظر: مختار عطية، المرجع نفسه، ص114.

ويستثمر الأسلوب في هذه النظرية الإمكانات التي يتيحها له النحو، وذلك بالإبداعية التي قال بها شومسكي في أننا نستطيع تكوين جمل لم نسمع بها من قبل و دون اختراق للقوانين النحوية؛ بشرط أن تكون هذه الجمل مقبولة نحويا ودلاليا، فبإمكان "المتكلم /المبدع أن يرجع في كل اتصال لغوي إلى قواعد اللغة والتي اكتسبها سابقا فينتقي منها ما يريد التعبير عنه"[1]، وتكون هذه القواعد مشتركة بين الأطراف الفاعلة للاتصال.

وبإمكان النحو التحويلي "وصف التعبيرات الفعلية وتصنيفها وتفسير القواعد اللغوية التي تتحكم في إبداع الكلام"[2]، فمهمة النحو عند شومسكي هي وصف وتفسير الحدث اللغوي.

وبالاستناد على مثل هذه الإجراءات التحليلية يتوصل الباحث اللساني إلى كشف خصائص الأسلوب وفنيته.

ولئن كانت الظاهرة الأسلوبية مدار اهتمام الغربيين فيمكن القول بأن للعرب بحوثا في هذا المجال، إذ لا نستثني من أعمال السابقين معالجتهم للظاهرة واعتبارها مادة أساسية للتحليل.

وتمتد المحاولات الأولى على يد الرائد سيبويه في الفصل الذي أسماه "هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة"، حيث يعرض مجموعة من الأساليب المقبولة وأخرى غير المقبولة، وهي حسب تقسيمه خمسة أنواع ، جاء في الكتاب "فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وماهو محال كذب.

فأما المستقيم الحسن فقولك: "أتيتك أمس وسآتيك غدا. وأما المحال فأن تنقض أول كلامك بآخره فتقول: أتيتك غدا، وسآتيك أمس.

وأما المستقيم الكذب فقولك: "حملت الجبل، وشربت ماء البحر"، ونحوه.

وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيدا رأيت"، وكي زيدا يأتيك"، وأشباه هذا.

وأما المحال الكذب فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس"[3].

---

[1]- عبد الحليم بن عيسى- الاتصال اللغوي بين الدقة والغموض، مجلة اللغة والاتصال، ع/أكتوبر 2005، ص 31.
[2]- محمد عبد المطلب- البلاغة والأسلوبية- ص148.
[3]- سيبويه – الكتاب- 25/01-26.

وهو بهذا التقسيم يقوم بعملية تقييم للأسلوب، وأن هناك طرقا لابد من اتباعها في الكلام، وأخرى مرفوضة تماشيا مع أساليب العرب في التعبير والإفصاح.

ويقوم الأسلوب المستقيم عنده على ركيزتين:

"- أولهما: استقامة المعنى.

- ثانيهما: سلامة نسق العبارة[1].

وهو ما يؤكد إشارتنا السابقة إلى أن الأسلوب يتشكل أساسا من الأفكار والمعاني إضافة إلى الشكل اللغوي أو الألفاظ المركبة.

ويعد البحث في إعجاز القرآن الكريم كذلك سببا مباشرا في ظهور بحوث ومصادر هامة تكشف عن أسرار أساليبه وطرق التعبير الخاصة به، حيث وجدت كلمة أسلوب مجالا طيبا في الدراسات القديمة، تلك التي تبحث في الإعجاز القرآني.

وفيما ذهب إليه الخطابي (تـ380هـ) والرماني (تـ382هـ) والباقلاني (تـ 403هـ) على سبيل المثال لا الحصر دليل على ذلك.

يقول الخطّابي في كتابه "بيان إعجاز القرآن": "إنا قدمنا من بيان أوصاف بلاغة القرآن، وزعمنا أنها أمور لا تجتمع لأحد من البشر، ولا يجوز أن تأتى عليها قدرته، وإن كان أفصح الناس وأعرفهم بطرق الكلام وأساليب فنون البيان" [2]، فالأسلوب القرآني جمع بين حسن التأليف وجودة الصياغة وإصابة المعاني.

وهو ما صرّح به الرماني في كتابه الشهير "النكت في إعجاز القرآن" بقوله: "وأما نقض العادة فإنها كانت جارية بضروب من أنواع الكلام معروفة، فأتى القرآن بطريقة مفردة خارجة عن العادة"[3].

فيتجلى إعجاز القرآن في أسلوبه الفريد حيث ارتفع به عن جميع أساليب العرب في التعبير والإبانة.

كما لا يختلف مذهب الباقلاني عن غيره، فقد جاء في" إعجاز القرآن" ما نصه: "وذلك أن نظم القرآن على تصرف وجوهه واختلاف مذاهبه خارج عن المعهود من

---

[1]- ينظر: لوسرة محمد – أثر المستوى التركيبي في الدلالة، رسالة ماجستير- قسم اللغة العربية وآدابها- جامعة وهران- السنة2003، ص09، (مخطوط).

[2]- الخطابي- بيان إعجاز القرآن، ص36.

[3]- الرماني – النكت في إعجاز القرآن، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص111.

نظام جميع كلامهم ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم وله أسلوب يختص به ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد"[1].

وهو ما أعجز العرب على الإتيان بمثله، مما دفع بعضهم إلى وصفه بالشعر والسجع.

[1]- الباقلاني- إعجاز القرآن– ص32.

5)- قيمة البلاغة في بلوغ المعاني:

استشف معظم العلماء -كأبي هلال العسكري- مفهوم البلاغة الاصطلاحي من دلالتها اللغوية، ويرجع مصدرها إلى الفعل "بلغ"؛و "بلغ الشيء يعني وصل وانتهى والبلاغ ما بلغك والإبلاغ والتبليغ الإيصال، ورجل بليغ حسن الكلام فصيحه والجمع بلغاء"[1].

والمتصفح لكتب البلاغة يلاحظ اقتران مصطلح الفصاحة بها، لأنها شرط من شروطها، وهي "دليل خلوص الكلام من التعقيد"[2].

فمن صفات اللسان العربي أنه يتميز بالخفة والسلاسة والفصاحة في اختيار الحروف وترتيبها، لهذا اعتبرت "الفصاحة ملكة يقتدر بها على التعبير ببيان عن مختلف الأغراض وهي لذلك تمام آلة البيان المتعلقة باللفظ"[3].

وقد سميت البلاغة فصاحة لأنها تفصح وتبين عن المعاني وأنها تسعى إلى إيصال كلام واضح غير مبهم.

وهي في "جوهرها ليست إلا فن القول الجميل" [4]، لأنها تطلق على كل ما هو بديع حسن جيد، "ويقر الناس بالجمال عن طريق إدراكه والإحساس به لكنهم يختلفون في تحديده وعلى هذا الأساس اختلف في تحديد مفهوم البلاغة"[5].

والدليل على هذا الكلام ما أورده "ابن رشيق" في كتابه "العمدة"، حيث ذكر للبلاغة أكثر من مفهوم، ومن بين ما قال به: "سئل بعض البلغاء ما البلاغة؟ فقال: قليل يفهم وكثير لا يسأم، وقال آخر: البلاغة إجاعة اللفظ وإشباع المعنى، وقال آخر: معان كثيرة في ألفاظ قليلة، وقيل لأحدهم ما البلاغة؟ فقال: إصابة المعنى وحسن الإيجاز، وقال خلف الأحمر: البلاغة لمحة دالة"[6].

فمن خلال هذه المفاهيم يمكن تسجيل الملاحظات الآتية:

1)- ترتبط البلاغة ارتباطا وثيقا باللفظ والمعنى على حد سواء فلا يطلب فيها اللفظ دون المعنى أو المعنى دون اللفظ والحسن مشروط في كليهما.

---

(1)- ابن منظور- لسان العرب-143/02.
(2)- محمد بن عمر الرازي- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تح: إبراهيم السامرائي ومحمد بركات- عمان1985م، ص 40.
(3).رابح العربي – في الفصاحة العربية، مطبعة المعارف عنابة- ط1، 2003، ص 01.
(4)- أسعد أحمد علي، فكتورالكك- صناعة الكتابة، دار السؤال بدمشق- ط4، 1981، ص 117.
(5)- أسعد أحمد علي- فكتورالكك– المرجع نفسه- ص218.
(6)- ابن رشيق- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح: عبد الرحمن هنداوي- المكتبة العصرية- بيروت- ط1، 2001، 212/01.

2)- وتقابل الألفاظ القليلة في البلاغة المعاني الكثيرة، وهذا ما يدل على أنها تسعى إلى توصيل قدر أكبر من المعلومات بأقل عدد من الألفاظ، أي أن سر البلاغة راجع إلى الإيجاز والذي يعد عمودها من غير أن يكون له أثر وإخلال في معنى الكلام.

3)- وأن من أغراض البلاغة الأساسية الإفهام والإصابة والدلالة وكل ذلك يقع في المعنى وما اللفظ إلا تابع وخدم له.

ولقد بث الله عز وجل غريزة البيان في الإنسان منذ بداية خلقه، فقال في محكم تنزيله (الرَّحْمَنُ، عَلَّمَ القُرْآنَ، خَلَقَ الإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ البَيَّانَ)[1]، والبيان في الآية الكريمة هو القدرة الفائقة على التعبير المثير عن المشاعر والأفكار[2]، ومنه وُجدت وسائل عديدة للإفصاح، وكانت اللغة بشكليها المنطوق والمكتوب من أشهرها وأهمها.

ثم أطلق الله -تبارك وتعالى- صفة البيان على اللسان العربي وخصه بها عن باقي ألسنة الشعوب والأمم الأخرى، فقال في كتابه العزيز (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ)[3].

وبفعله انفردت الأمة العربية عن غيرها في عصورها السالفة، "حيث بلغ العرب شأوا بعيدا في الفصاحة والبيان مما جعل كل من جاء بعدهم يتوسم فيهم الأنموذجية" [4]، وكانت أشعار الجاهلية وخطبها مثالا على ذلك، ومقياسا يضرب في حسن الكلام وجودته.

فقد جاء في كتاب الله العزيز وصف "لحال قريش في بلاغة المنطق ورجاحة الأحلام وصحة العقول، وذكر العرب وما فيها من الدهاء وبلاغة الألسنة فقال: "فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد"، ثم ذكر استمالتهم الأسماع بحسن منطقهم فقال: "وإن يقولوا تسمع لقولهم"، ثم قال: "ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا"[5].

فمن مميزات اللسان العربي - في عصر الجاهلية- أنه حاد شديد، يميل الآذان والأسماع.

ومن مظاهر وجود البلاغة في عصرها الذهبي أن الناس كانوا يتفاضلون فيما بينهم من حيث تمييز أنواع الكلام والمتكلمين، ومن بين ما ذكروه "العي والبكيء

---

[1]- سورة الرحمن- الآية1-2-3-4.
[2]- ينظر: محمد علي سلطاني، البلاغة العربية في فنونها، ص75.
[3]- سورة الشعراء- الآية195.
[4]- أبو بكر حفيظي- الفصاحة اللغوية والبلاغية في القرن الثالث الهجري- ص20.
[5]- الجاحظ – البيان والتبيين، 01/21-22.

والحصر والمفحم والخطل والمسهب والمتشدق والمتفيهق والهدر والهذيان والتخليط"[1]، فهذه الأمثلة تؤكد وجود التفاضل بين الناس والتفاوت في الكلام من حيث إنهم أدركوا أهميته وأنه لابد أن يتوفر على شرط مهم وهو إفادته المعاني وإصابتها وأن هناك مراتب دنيا وأخرى عليا وفقا لطبيعة ودرجة بيانه.

ومن السمات البارزة التي ظهرت لدى الجاهليين التزام الكهان بالسجع في كلامهم وقد استشهد الجاحظ بقول أحدهم حيث يذكر: "والأرض والسماء، والعقاب السقعاء ،واقعة ببقعاء لقد نفر المجد بني العشراء للمجد والسناء"[2].

فللسجع دور في جلب الانتباه وبث الرغبة في المتلقي لمواصلة الاستماع "وتكمن قوته في أكثر من ناحية من ذلك ما يبدو للسامع من كمال العبارة وإحكام بنائها حيث يشعر معها بمدى ثقة القائل بسداد ما يقول، وكذلك في جمال وقعها الموسيقي في الأذن والنفس مع الأداء السليم للمعنى"[3]، فالبلاغة لا تقتصر على الإفهام الجيد فقط، بل هي زائدة على ذلك بالحلية والزينة اللفظية والرقة والجزالة[4].

أما الشعراء فلقد كان التنافس بينهم محتذما وكان في تنقيح قصائدهم وتجويدها دليل قاطع على مراعاتهم لحسن البيان والذي ظهرت ثماره مبكرة لديهم، "ومن الفحول الذين ذكروا في كتب البلاغة والنقد: زهير والنابغة والفرزدق وجرير والأخطل والأعشى"[5].

كما كان للخطب حظها من الجودة والبلاغة، فلقد مدح الفرزدق أحد الخطباء * قائلا فيه:

وَمِنَّا خَطِيبٌ لاَ يُعَابُ وَحَامِلٌ أغَرُّ إِذَا الْتَفَّتْ عَلَيْهِ المَجَامِعُ[6]

فالبلاغة ليست حكرا على الكلام الموزون المقفى فقط، بل هي حاضرة كذلك في الكلام المرسل.

---

(1)- الجاحظ- البيان والتبيين- 133/01.
(2)- الجاحظ- المصدر نفسه- 236/01.
(3)- محمد علي سلطاني- البلاغة العربية في فنونها– ص 46.
(4)- ينظر: أبو حيان التوحيدي، المقابسات، تح محمد توفيق حسين، دار الآداب، بيروت، ط2، 1989، ص 110.
(5)- عباس حسن- اللغة والنحو بين القديم والحديث، دار المعارف بمصر- ط2، 1981، ص132.
* - وهو عطارد بن حاجب بن زرارة وكان الخطيب عند النبي (ص).
(6)- الجاحظ ، البيان والتبيين، 261/01.

فقد كانت "شاخصة بعلومها في جميع أنواع الأساليب الأدبية وتراكيب الكلام لتبين لنا خصائصه ومجراه"[1]، على طريقة العرب في أداء المعنى، فهي تشير بطريقة أو بأخرى إلى كيفية وتقنية في الكلام "أكثر حيوية من الكلام العادي ومقدرة إما إلى جعل الفكرة أكثر حساسية بوساطة صورة من الصور أو مقارنة من المقارنات لإثارة الانتباه أكثر بما لها من استقامة وفرادة"[2]، حيث توفر للأسلوب أكثر من طاقة للتعبير كالتشبيه والكناية والمجاز.

وهي بالنسبة للمبدع دلالة على ملكته في صوغ الكلام وحاجته إلى إصابة المعنى وتحقيق الغرض [3]، لأن القدرة اللغوية للبليغ والمتمثلة في انتقائه للألفاظ "تسمح له بتصوير المعاني التي يريدها حتى يعبر عن الأغراض المتعددة.

ومن شروط تحقق القدرة اللغوية لدى المبدع نذكر ما يلي:

1 - الرصيد المعرفي لدى المتكلم.

2 - الرصيد اللغوي.

3 - المعرفة بأنواع الأساليب وطرق الآداء.

4 - المعرفة بكيفيات تركيب الألفاظ"[4].

وتحقق بفعل الخيال الثري مقصدها الأساسي وهو تأدية المعاني والأفكار بصورة خلاقة وإبداعية.

ونظرا للخصائص التي انفردت بها البلاغة فقد "ارتبطت في يومنا هذا بمختلف فروع المعرفة وسجلت حضورها في تخصصات عديدة"[5]، وأثبتت قدرتها على تحليل ودراسة أي نص لغوي مهما كان موضوعه وشكل صياغته.

ويرجع السبب في ذلك كونها تشكل منهجا يمس خاصية ملازمة للإنسان ألا وهي الكلام[6]، إذ تعالج مختلف أنماط التعبير التواصلية.

---

[1]- حلمي مرزوق، النقد والدراسة الأدبية، ص71.
[2]- بيير جيرو- الأسلوبية، ص25.
[3] – ينظر: مختار عطية ،التقديم والتأخير ومباحث التراكيب، ص16.
[4]- قلايلية العربي ، التقديم والتأخير في التراكيب اللغوية، ص39.
[5]- ينظر: محمد الماكري، الشكل والخطاب، ص33.
[6]- ينظر: هنريش بليث، البلاغة والأسلوبية، ص23.

وهي "لا ترى في النص الأدبي قد استوفى درجات الجمال الحق وعناصر البلاغة الصدق إلا إذا اجتمعت فيه المقومات الآتية: الفكرة والعاطفة والخيال والأسلوب"[1].

فاشتمال النص على مثل هذه المقومات دليل على مراعاة البلاغة للجانب الفني والجمالي في الأسلوب؛ فهي من أهم الوسائل المساعدة لاستظهار مطارح الجمال في التعبير[2]، وباعتبارها علما يسعى إلى دراسة اللغة من خلال كشف وظيفتها وآثارها على القارئ/المتلقي.

ويعتبر المتلقي من أهم العناصر التي تحاول البلاغة مراعاته وإفهامه.

ولهذا السبب اعتبرت "فنا قوامه الاعتدال مع توفر أكبر مستويات الإبانة والإفصاح"[3].

حيث يتجاوز هدفها الإبلاغ العادي أو ما يطلق عليه اسم الإبلاغ الفني لتصل عن طريق آلياتها الإبداعية إليه.

ويتم ذلك عن طريق الاختيار بين جدولين: "جدول المفردات وجدول النظام النحوي"[4]، إذ يمكننا مثلا من "إدخال كلمة في علاقة المفعولية مع فعل معين على سبيل سبيل الحقيقة، فإذا أدخلنا المتكلم مع الفعل نفسه في علاقة الفاعلية، ولم تكن في العرف مما يقبل هذا النوع من العلاقة فإن مستوى الكلام يتحول من الحقيقة إلى المجاز أو من الإبلاغ غير الفني إلى الإبلاغ الفني"[5].

ومن هنا تتجلى قيمة وأهمية البلاغة في أنها تجيز إيقاع علاقات بين الكلمات بطريقة مبتكرة وجديدة لتكشف لنا عن الطاقات الإبداعية الكامنة في اللغة.

---

(1)- أسعد أحمد علي- فكتور الكك- صناعة الكتابة، ص219.

(2)- ينظر: حلمي مرزوق- النقد والدراسة الأدبية، ص71.

(3)- محمد سالم ولد محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند برلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، مجلة عالم الفكر، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، دولة الكويت، المجلد28، ع03 يناير مارس2000م، ص75.

(4)- محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة، ص163.

(5)- محمد حماسة عبد اللطيف، المرجع نفسه، ص163.

الفصل الثاني

الجهود النحوية والبلاغية في الدراسة التركيبية

1. الجملة عند النحاة والبلاغيين
2. تأثير مناسبات القول في تركيب الجملة
3. الجملة بين قيود النظام النحوي والبلاغي
4. الوظيفة النحوية والبلاغية للجملة

1). الجملة عند النحاة والبلاغيين:

تتوزع الدراسة اللغوية على مستويات عديدة بحسب مكونات اللغة، فهناك الدراسة الصوتية والدراسة المعجمية، وتليهما الدراسة التركيبية التي "تنطلق أساسا من الجملة البسيطة والتي تتميز بمبدأ بساطتها" [1]، وهي تشمل مستوى أوسع من المستويين السابقين، وتستمد ذلك كونها تحمل فكرة واحدة أو معينة، "فموضوع الدراسة التركيبية هو بنية الجملة، فتقوم بتعيين الوحدات الدالة المشكلة لها، وتحديد العلاقات التي تربط هذه الوحدات بعضها البعض"[2]، ويكون لهذه العلاقات في الجملة دور في إعطاء كيان وبناء لغوي متماسك لها.

والجملة في مفهومها اللغوي مشتقة من الفعل " جمل " وتطلق في أصلها على الجمع والحساب والإحصاء، حيث يذكر ابن منظور بأن " جمل الشيء يعني جمعه، والجملة جماعة الشيء، وأجمل الشيء جمعه عن تفرقة، وأجمل له الحساب كذلك، والجملة جماعة كل شيء بكماله من الحساب وغيره" [3]، فالجملة إذن تدل على العدد والكم.

وقد ذكر الله -عز وجل- الجملة في كتابه العزيز حيث قال: ﴿وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيَهِ القُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ﴾[4]؛ حيث أخبر الله تعالى عن كثرة اعتراض الكفار في نزول الكتاب دفعة واحدة من غير تقسيم ولا تفريق، فأجابهم بأنه إنَّما أنزله منجما في ثلاث وعشرين سنة بحسب الوقائع والحوادث[5].

واستعملها القدامى كالخليل (ت 175هـ) ، وابن السراج (ت 316هـ) والزجاجي (ت337هـ) عنوانا لمؤلفاتهم،وكانوا يقصدون بها معنى كلمة "مجموعة" ومثال ذلك : جمل الألفات، اللامات، الواوات[6].

فكل ما يجمع ويحسب جملة، وكذلك الكلمات إذا جمعت فيما بينها فإنّها تؤلّف جملة.

---

[1]- مصطفى سعيد الصليبي: الجملة الفعلية في مختارات ابن الشجري، دراسة نحوية تطبيقية إحصائية، ج، دار هومة ، الجزائر، ص19.
[2]- عبد الحميد دباش: دور التركيبية في فهم وإفهام القرآن الكريم، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، قسنطينة، ع، نوفمبر، 2003، ص94.
[3]- ابن منظور، لسان العرب ، المجلد03 / 203.
[4]- سورة الفرقان، الآية32.
[5]- ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط، 2004، 297/03.
[6]- ينظر: مختار بوعناني، نحو الجمل، ديوان المطبوعات الجامعية،1995، ص129.

ومما هو متفق عليه أن مصطلح الكلام شاع بدل "الجملة" منذ بداية الدراسة اللغوية، فقد لقي من العناية في جهود القدماء ما يفوق كل اعتبار واهتم به العرب ووصفوا به مختلف الممارسات اللفظية[1].

وشروطه تتطابق مع شروط الجملة قديما وحديثا، أي أنه يشتمل على اللفظ والإفادة، وانطلاقا منه " تحددت البلاغة والفصاحة والبيان، وقامت على أساسه مختلف الآراء النقدية المتعلقة بالجودة والرداءة"[2].

وفي الكتاب لسيبويه (تـ180هـ) دليل على ذلك؛ فقد قسم في "باب الاستقامة من الكلام والإحالة الكلام إلى خمسة أقسام"، فمنه مستقيم حسن ومحال، ومستقيم كذب ومستقيم قبيح، وماهو محال كذب[3].

وينبني هذا التقسيم على شرطين أساسيين هما:

-سلامة تركيب الكلام.

-اعتماد الوضوح وتخير الألفاظ المألوفة الدالة[4].

وشروط إفادته أن يتضمن مسندا ومسندا إليه، وهو عنده مرادف للجملة.

ويعد حديث الخطابي (تـ 388هـ) "بيان إعجاز القرآن" من بين أقدم الدراسات اللغوية التي وصلتنا عن الكلام، حيث قام بتفصيل أجناسه وتحديد مراتبه، ومنها: "أجناس الكلام مختلفة ومراتبها في نسبة التبيان متفاوتة، ودرجاتها في البلاغة غير متساوية، منها البليغ الرصين الجزل، ومنها الفصيح القريب السهل، ومنها الجائز الطلق الرسل، وهذه أقسام الكلام الفاضل المحمود"[5].

وبعد استحسان الخطابي لهذه الأجناس الثلاثة للكلام، أتى إلى ذكر وتصنيف مراتبها قائلا: "فالقسم الأول أعلى طبقات الكلام؛ لأنه يمثل مبلغ البيان وجودة التعبير وأرفعه والقسم الثاني أوسطه وأقصده لأنه يعبر عن المقاصد بأسلوب سهل مستقيم،

---

(1)- ينظر: سعيد يقطين، الكلام والخبر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ط1 1997، ص133.

(2)- سعيد يقطين، المرجع نفسه، ص135.

(3)- ينظر: سيبويه الكتاب، 25/01، 26.

(4)- ينظر: عبد القادر بن عسلة، أثر السلامة اللغوية في العملية التواصلية، مجلة اللغة والاتصال، ع2/ أفريل 2006، ص 76.

(5)- الخطابي : بيان إعجاز القرآن، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص26.

والقسم الثالث أدناه وأقربه؛ وهو الذي تجتمع فيه صفة البيان والفصاحة بنسبة أقل من القسمين السابقين"[1].

والقاسم المشترك بين هذه الأقسام هو "البيان" أو كما سماه الخطابي "نسبة التبيان" وهو كذلك يختلف من قسم لآخر.

ولا يكون الكلام كلاما عند الخطابي إلا إذا توافرت فيه ثلاثة شروط، قال عنها: " وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة، لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم"[2]، فهو يشير إلى أن الألفاظ لا قيمة لها ولا وظيفة إلا إذا ربطت فيما بينها وعلق بعضها ببعض، فالكلام المفيد إنما هو نتيجة لاجتماع وانتظام الألفاظ فيما بينها.

ويعرف أحمد بن فارس (تـ 390هـ) في "الصاحبي" "الكلام الواضح" بقوله: "هو الذي يفهمه كل سامع عرف ظاهر كلام العرب؛ كقول القائل "شربت ماء "و" لقيت زيدا"[3].

وهو يتعرض إلى قضية الوضوح والإشكال في المعاني، وتقسيمه هذا يقوم على مفهوم الجملة المفيدة.

ويذكر الإمام الرازي (تـ 606هـ) في مؤلفه "نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز" فكرة تمام معنى الكلام، واستشهد ببيت بشار بن برد حيث يقول:

كَأَنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا وَأَسْيَافُنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ

معلقا عليه فقوله: "كَأَنَّ مُثَارَ النَّقْعِ إلى وَأَسْيَافُنَا جزء واحد و لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ بجملته الجزء الذي ما لم تأتي به لم تكن قد أتيت بكلام"[4].

واهتم بن هشام (ت 761هـ) في "مغني اللبيب" بتفسير الجملة وقارن بينها وبين مصطلح الكلام، حيث يقول: "الكلام هو القول المفيد بالقصد، والمراد بالمفيد ما دلّ على معنى يحسن السكوت عليه" [5]، فالكلام هو ما تحقق فيه شرط الإفادة، بحيث لا يحتاج المتلقي فيه إلى ما يتمم معناه ويكتفي بمعرفة قصد المتكلم بما تلقى من عناصر لغوية.

---

[1]- الخطابي، بيان إعجاز القرآن، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص26.
[2] – الخطابي، المصدر نفسه، ص27.
[3]- أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، تح عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، ط1 1993، ص73
[4]- الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، ص75.
[5]- ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح حنا الفاخور، دار الجيل بيروت، ط1 1991، 5/2.

أما الجملة فهي تختلف عن الكلام في مسألة إفادة المعاني، وهي «عبارة عن الفعل وفاعله كـ: "قام زيد"، والمبتدأ وخبره كـ: "زيد قائم"»[1].

وشغلت الجملة حيزا مهما في الدراسات اللغوية – تراثية كانت أم حديثة – وأولاها كل من النحوي والبلاغي اهتماما بالغا، وكل ذلك راجع إلى قيمتها التبليغية.

فكان يسود كتب النحو –مثلا- اتجاه عام "يتم فيه تقديم مباحث التراكيب والأبنية وإعطائها القدر الأكبر من العناية والتفصيل، على حين تعالج الأصوات قرب الختام تابعة أو منضوية تحت مبدأ الإدغام"[2].

وسار على هذا النهج سيبويه (تـ180هـ) ومعظم اللغويين الذين جاءوا بعده أمثال المبرد (تـ285هـ) والزجاجي (تـ329هـ).

وأجمع اللغويون بالخصوص النحاة، على أن الجملة اصطلاحا هي "أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلا بنفسه"[3]، فقدر الجملة أو طولها مرتبط بإفادتها للمعنى.

ويمكن القول أنها "الصورة اللفظية الصغرى أو الوحدة الكتابية الدنيا للقول أو الكلام الموضوع للفهم والإفهام" [4]، فهي منطوقة كانت أو مكتوبة تمثل الحد الأدنى للتواصل اللغوي، وأقل ما تتألف منه كلمتان أو أكثر.

وهي في مطلق الأحوال "تركيب لفظي يجري به النطق في سلسلة كلامية تتابع ألفاظها، بحيث تفضي إلى معنى يجوز السكوت عليه"[5].

فمن شروطها أن يتحقق فيها عنصران: عنصر اللفظ وعنصر المعنى.

فهي ليست مجرد تتابع للكلمات على هيئة مخصوصة فقط، بل هي شكل ومضمون، أي أن "للجملة نمطا لغويا يمثل الملفوظ الذي يتألف من مجموع العناصر المترابطة داخلها، ومحتوى دلاليا إخباريا يمثل الرسالة التي تنظم الخبر المنتقل من المرسل إلى المتلقي"[6]، فهي إذا كل لفظ مركب مفيد.

من خلال ما سبق يمكن القول إن الجملة من حيث دراستها تنقسم إلى قسمين رئيسيين:

---

(1)-ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب،5/2.
(2) - مبروك سعيد، في إصلاح النحو العربي، ص03.
(3)- مهدي المخزومي، في النحو العربي، نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت، ط2 1982، ص33.
(4)- ريمون طحان، الألسنية العربية، ص44.
(5)- قلايلية العربي، التقديم والتأخير في التراكيب اللغوية، (مخطوط)، ص48.
(6)- عبد الحميد دباش، دور التركيبية في فهم وإفهام القرآن الكريم، ص97.

- قسم يخص الجانب الظاهري الشكلي.
- وقسم يخص الجانب الدلالي (الإبلاغي).

ويشكل هذان القسمان "بنيتين متضامنتين متداخلتين لا تتطابقان، بنية تركيبية هي الملفوظ وبنية دلالية إخبارية هي الرسالة، باعتبار أن معنى الجملة هو محصلة بنيتها التركيبية"[1]، وهو ما يوضحه لنا الرسم البياني الآتي:

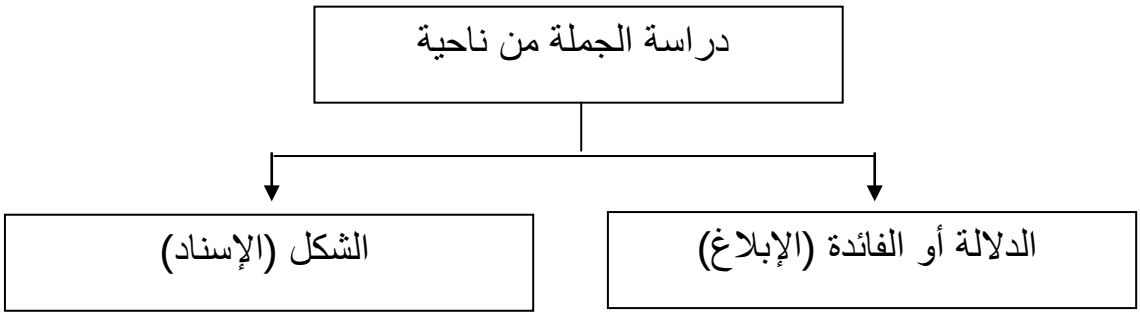

فالجملة هي أساس ونواة التحليل التركيبي والبلاغي معا، من حيث دراسة بنيتها وتحديد وظيفتها.

ويعد الجمع بين المستويين – الشكلي والإبلاغي – من أتم البحوث التركيبية وأكملها.

وقد قام بمثل هذا العمل – على سبيل المثال – العالمان البلاغيان المشهوران: الجرجاني (ت471هـ) "في دلائل الإعجاز" والزمخشري (ت538هـ) "في الكشاف".

فبحث الجرجاني في الدلائل عن بنية الجملة الخبرية ومقاصدها وأغراضها، والخبر بالنسبة إليه هو "أعظمها شأنا، فهو الذي يتصور بالصور الكثيرة وتقع فيه الصناعات العجيبة"[2].

وأساس ذلك كله الإسناد وعلاقاته في الجملة، يقول في هذا الصدد "لا يكون خبر حتى يكون مخبربه ومخبر عنه لأنه ينقسم إلى إثبات ونفي"[3]، فالجملة الخبرية قد تثبت أمرا وقد تنفيه.

---

[1] - عبد الحميد دباش ، دور التركيبية في فهم وإفهام القرآن الكريم، ص98.
[2] - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص487.
[3] - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص486.

وفي حديثه عن الجملة الفعلية قال: "من أجل ذلك امتنع أن يكون قصد إلى فعل من غير أن تريد إسناده إلى شيء مظهر أو مقدر"[1].

فالجملة إذا عند الجرجاني هي نفسها عند سيبويه (تـ 180هـ) وغيره من علماء النحو، ينبغي أن تتوفر على المسند والمسند إليه لتقع الفائدة منها.

ولقد "تقرر مع البلاغيين والنحويين أن طرفي الجملة المسند والمسند إليه يذكران وجوبا في مواقعهما المعروفة إذا وجدت القرينة التي تدل عليهما" [2]؛ فلابد للمبتدأ من الخبر، كما لا بد للفعل من الفاعل.

وأقام الجرجاني "دلالة الخطاب اللغوي على قاعدة الإسناد التي توفر لنا النظر إلى ثلاثة أطراف في عملية الإبلاغ هي: المسند والمسند إليه وناقل الإسناد" [3]، وهذه الأطراف الفاعلة -في الجملة- هي التي تتمّم معناها وتشكل محتواها فتصبح مفيدة للمتلقي.

وعليه يمكن القول بأن الجملة هي "غاية النظامين النحوي والبلاغي، وذلك بالربط بين صورتها الصوتية المنطوقة ومعناها المراد منها" [4]، فهي وحدة اتصال من بين ما تسعى إليه إخبار السامع أمرا جديدا.

كما اهتم الزمخشري (تـ 538هـ) في كتابه "الكشاف" بمثل هذه الدراسة، حيث يقول في تحليله لتركيب "إِيَّاكَ نَعْبُدُ": "إِيَّا" ضمير منفصل منصوب واللواحق التي تلحقه من الكاف والهاء والياء في قولك : إياك وإياه وإياي لبيان الخطاب والغيبة والتكلم، ولا محل لها من الإعراب"[5].

فلفظ "إِيَّاكَ" مكون من ضمير منفصل منصوب ولاحقة لا محل لها من الإعراب، وهو مفعول به مقدم وجوبا على الفعل، والفاعل " نعبد ".

---

(1)- عبد القاهر الجرجاني، المصدر نفسه، ص486.
(2)- سعد أبو الرضا، في البنية والدلالة، ص105.
(3)- منقور عبد الجليل، الجهود الدلالية عند عبد القاهر الجرجاني، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، الجزائر، ع1، 2002، ص201.
(4)- ينظر: محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة، ص19-20.
(5)- الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل ، دار الفكر، بيروت، ج1، 60-61.

وذكر الزمخشري بعد ذلك سبب هذا التقديم ليبين لنا دلالة الجملة ووظيفتها البلاغية قائلا: "وتقديم المفعول لقصد الاختصاص، والمعنى نخصك بالعبادة ونخصك بطلب المعونة، والعبادة أقصى غاية الخضوع والتدلل"[1].

فتحليل الزمخشري لهذه الجملة يجمع بين بنيتين:

- بنية التركيب والإسناد.
- بنية الدلالة والغرض.

حيث "يتعمق في كشافه باحثا في البنية التركيبية ليصل في النهاية إلى المعنى، وهو بذلك يرى أن معنى الجملة لا يمكن إدراكه إلا بمعرفة بنيتها التركيبية" [2] وعلاقات الإسناد المتوفرة فيها.

وهو يعتبر أن "تحديد معنى المراد من الجملة من صميم البحث البلاغي"[3].

وينبئ هذا التحليل عن وعي الزمخشري التام بأنّ شكل الجملة ونظامها لا ينفصل عن أغراضها ومقاصدها.

---

[1]- الزمخشري، الكشاف، ج1، 62.

[2]- عبد الحميد دباش، دور التركيبية في فهم وإفهام القرآن الكريم، ص96.

[3]- محمد حسين أبو موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري و أثرها في الدراسات البلاغية ص641.

2). تأثير مناسبات القول في تركيب الجملة:

يكمل كل عنصر من عناصر الاتصال بعضه بعضا، وتعدّ الجملة باعتبارها حلقة الوصل بين المرسل والمرسل إليه مضمون الرسالة.

ويخضع تركيب عناصرها إلى مجموعة من العوامل أهمها مناسبات القول وظروفه إضافة إلى العلاقة التي تربط طرفي الاتصال.

فلا يكون الكلام أكثر إفادة وإقناعا إلا إذا راعى فيه المرسل أحوال المتلقي.

وقد ورثنا عن تراثنا القديم مذهبا بلاغيا قائما بذاته عرف بـ"مطابقة الكلام لمقتضى الحال "أو" لكل مقام مقال "وهو يبحث في مساره على إحراز الغاية والمنفعة بين المرسل والمستقبل.

ومن أقدم ما وصلنا عنه قول الجاحظ (تـ 255هـ) في "البيان والتبيين" أن جماع البلاغة التماس حسن الموقع والمعرفة بساعات القول" [1]، فبلاغة الكلام تقتضي من المتكلم أن يتخير السانحة فلا يقول ما شاء فيما يشاء وقت ما يشاء.

واستشهد الجاحظ بقول ابن المقفع (تـ 142هـ) في تفسيره للبلاغة: "إذا أعطيت كل مقام حقه وقمت بالذي يجب من سياسة ذلك المقام وأرضيت من يعرف حقوق الكلام، فلا تهتم لما فاتك من رضا الحاسد والعدو"[2]، وهو بهذا يربط الكلام وحسنه بالمقام وأن الكلام طبقات بحسب أحوال المخاطبين.

وذكر كلاما "لبشر بن المعتمر" (تـ 210هـ) جاء فيه "ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما، ولكل حالة من ذلك مقاما، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات"[3].

فلم يغب على "بشر بن المعتمر" ما بين المتكلم والمستمع من علاقة تربطهما بالإضافة إلى أنه لم ينس مقتضيات الحال، ويكون لحضورهما في المقام نفسه عاملا مهما لتوفر الفهم والإفهام[4].

---

[1] – الجاحظ، البيان والتبيين، ص87/01.

[2]- الجاحظ، المصدر نفسه، 110/01.

[3]- الجاحظ، المصدر نفسه، 01 / 129.

[4]- ينظر: شعيب مقنونيف، فن القول وعلاقته بفنون الإيصال في النقد والبلاغة العربيين قديما، مجلة كلية الآداب، جامعة تلمسان، ع2، المجلد (2)، نوفمبر 2000، ص 49.

فالمقام أساس في الكلام، وعلى أساسه تتعدد المقالات وتختلف[1].

وشروط صحة الجملة وتأديتها لوظيفتها التواصلية مرهون بمناسبتها للمقام الذي وردت فيه، لأن غيابه في بعض الأحيان يعيق فهم الرسالة واستيعاب معناها[2].

ولئن كانت الآراء التي جاء بها ابن المقفع (تـ 142هـ) وبشر بن المعتمر (تـ210هـ) والجاحظ (تـ255هـ) قد أسست ودعمت مذهبهم، فإننا نجد سيبويه (تـ180هـ) يجمع بين النظري والتطبيقي في كتابه الشهير، حيث يقول في " باب يكون المبتدأ فيه مضمرا ويكون المبني عليه مظهرا ": "وذلك أنك رأيت صورة شخص فصار آية لك على معرفة الشخص فقلت: عبد الله وربي، كأنك قلت: ذاك عبد الله أو هذا عبد الله، أو سمعت صوتا فعرفت صاحب الصوت فصار آية لك على معرفته فقلت: زيد وربي، أو مسست جسدا أو شممت ريحا فقلت : زيد أو المسك أو ذقت طعاما فقلت: العسل"[3].

فرغم كون المبتدأ أحد العناصر الأساسية في تركيب الجملة الاسمية إلا أننا نستطيع حذفه إن كان بالنسبة للمتكلم معروفا، لأن معرفة الشيء تغني عن ذكره، حيث "يقتضي النظام اللغوي في الأصل ذكر أطراف الإسناد، ولكن التطبيق العملي من خلال الكلام قد يسقط أحدهما اعتمادا على دلالة القرائن المقالية أو الحالية"[4].

وتشكل القرينة في نص سيبويه رابطة أساسية بين المذكور والمحذوف، بحيث نتوصل عن طريق الحواس الخمس إلى إيجاد ما حذف في التركيب وإدراك المعنى[5].

فتصبح عناصر الجملة ونظام تركيبها خاضعة لعوامل منها ما يعود إلى أطراف الاتصال ومنها ما يعود إلى ظروفه.

ومن أسباب الإضمار في الجملة – كذلك – عند سيبويه " الاستخفاف لما كان يقع مظهرا، ولأنّ المخاطب يعلم ما يعني، فجرى بمنزلة المثل، كما تقول : لا عليك، وقد عرف المخاطب ما تعني، أنه لا بأس عليك، ولا ضر عليك، ولكنه حذف لكثرة هذا في كلامهم"[6].

---

(1)- عمار ساسي، المدخل إلى النحو والبلاغة، دار المعارف، الجزائر، 2005، ص134.
(2)- ينظر: شعيب مقنونيف، فن القول وعلاقته بفنون الإيصال في النقد والبلاغة العربيين قديما ، ص49.
(3)- سيبويه، الكتاب، 130/02.
(4)- محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، ص235.
(5)- ينظر: محمد مليايي، ظاهرة الحذف في الدراسات اللسانية الحديثة- شهادة دكتوراه، جامعة وهران(2006-2007)، (مخطوط).
(6)- سيبويه، الكتاب ، 224/01.

فكثرة الاستعمال ومعرفة المخاطب للمعنى تفضي بالمتكلم إلى الاستغناء عن بعض أجزاء التركيب، ولا يكون لذلك أثر سلبي في التواصل اللغوي.

وقد أرجع سيبويه الإضمار إلى أسباب عديدة "أبرزها كثرة الاستعمال أو الاستغناء عنه بظهور معناه أو أن إظهاره يحول في معنى التركيب"[1].

ويصنف موضوع الإضمار والإظهار، الذي أشار إليهما سيبويه في الكتاب ضمن مباحث علم المعاني، وهو يقول في "باب ما جرى من الأمر والنهي على إضمار الفعل المستعمل إظهاره إذا عملت أن الرجل مستغن عن لفظك بالفعل": "قولك: زيدا وعمرا، ورأسه. وذلك أنك رأيت رجلا يضرب أو يشتم أو يقتل، فاكتفيت بما هو فيه من عمله أن تلفظ له بعمله فقلت: زيدا، أي أوقع عملك بزيد" [2]. وأسس بفضل جهوده اللغوية العناصر التي تشكل في مجموعها حدثا كلاميا وهي:

"أولها: عناصر التركيب الذي يقع فيه الحذف،و العلاقة بين العنصر المحذوف والعناصر القائمة تركيبيا و دلاليا.

ثانيها: قدرة المخاطب على إدراك العنصر المحذوف ومغزى الحذف.

ثالثها: قصد المتكلم من الحذف.

رابعها: الموقف الكلامي (السياق / المقام) الذي يجيز صحة التركيب الواقع فيه الحذف أو عدم صحته"[3].

فاجتماع جملة العوامل اللغوية وغير اللغوية في الحدث الكلامي يحقق نسبة عالية في إنجاح التواصل اللغوي.

وتجدر الإشارة إلى أن سيبويه " لم يجز الحذف بوجه عام إلا لعلم المخاطب بالمعنى، فما جاء من تراكيب حذف فيها أحد العناصر قد قيل على مجوزات الحذف منها اتساع الكلام والإيجاز وكثرة الاستعمال"[4].

ومن الأمثلة – كذلك – التي تؤكد إدراك سيبويه العميق للعلاقة التي تربط المرسل بالمتلقي في التواصل اللغوي ما ذكره في باب "الاستفهام حين يكون رفعا لأنك

---

[1]- سعد حسن بحيري، عناصر النظرية النحوية في كتاب سيبويه، ص227.
[2]- سيبويه، الكتاب، 253/2.
[3]- سعد حسن بحيري، عناصر النظرية النحوية في كتاب سيبويه، ص227.
[4]- سعد حسن بحيري، عناصر النظرية النحوية في كتاب سيبويه، ص229.

تبتدئه لتنبه المخاطب، ثم تستفهم بعد ذلك، قولك : زيد كم مرة رأيته ؟ وعبد الله هل لقيته؟ وعمرو هلا لقيته؟ وكذلك سائر حروف الاستفهام"[1].

فجملة: زيد كم مرة رأيته ؟ يكون أصل ترتيبها كالآتي: كم مرة رأيت زيدا ؟ لأن حروف الاستفهام من أدوات الصدارة ورتبتها التقديم دائما، مما يؤدي إلى تأخير زيد في التركيب.

ويروم المتكلم من تقديمه غرضا بلاغيا يتجلى في شد انتباه المخاطب كي لا يقع ظنه في أن الاستفهام واقع على أمر أو شخص آخر، ولهذا يؤتى به مرفوعا في بداية الكلام، بحيث تنعكس مراعاة المتلقي في العملية التواصلية على تركيب الجملة ونظام ترتيبها، وتخطي ذلك يؤدي إلى خلق حالة معاكسة لما كان المتكلم يرومه[2].

وتحدث المبرد (تـ285هـ) عن ظاهرة حذف الفعل في التركيب، حيث جاء في المقتضب: " الفعل الذي يضمر إذا علمت أن السامع مستغن عن ذكره– نحو قولك – إذا رأيت رجلا قد سدد سهما فسمعت صوتا : القرطاس والله ، أي أصاب القرطاس، أو رأيت قوما يتوقعون هلالا، ثم سمعت تكبيرا، قلت : الهلال والله، أي رأوا الهلال" [3]، فالموازنة بين قدر المعنى وقدر المستمع تؤثر في بناء الجملة وتركيب مفرداتها.

كما لم تفت المبرد الإشارة إلى أطراف الاتصال وأثر التفاعل الذي يحدث بينهم في صياغة عناصر الجملة، فهو يقول في "باب المستثنى من المنفي" إذا قلت: جاءني إخوتك إلا زيدا، وزيد أحد إخوتك –أوقعت عند السامع من قبل الاستثناء أنه فيمن جاء. فإذا قلت: إلاّ زيدا –فإنما وقعت في موضع: لا أعني زيدا منهم، أو استثني زيدا منهم"[4]، فمجيء الاستثناء الدال على النفي مباشرة بعد الجملة التامة "جاءني إخوتك" يدل على تخصيص المعنى وتحديده فلا يلتبس على ذهن المتلقي القصد.

ونجد في المباحث الحديثة اعتناء "مهدي المخزومي" بمثل هذا الموضوع، وأكد أن ظروف المقال ذات صلة وثيقة بتركيب الجملة وبيان دلالتها.

فهو يقول مثلا في ظاهرة إضمار الفعل : " وترك إظهار الفعل ظاهرة واسعة الحدود في العربية، فهناك كثير من التعبيرات لا يظهر فيها فعل ولا يراد فيها إلى ذكره،

---

(1)- سيبويه، الكتاب، 127/01.
(2)- ينظر: محمد ملياني، ظاهرة الحذف في الدراسات اللسانية الحديثة، ص304.
(3)- المبرد، المقتضب، 129/04.
(4)- المبرد، المقتضب، 396/4.

ولا يكون بالمتكلم حاجة إلى تقديره، لأنه من الوضوح في منزلة لو ذكر معها لكان الكلام حشوا لا جدوى فيه"[1].

فالفعل في الجملة العربية من أهم أركانها ودعائمها، ورغم ذلك يضمر في الركن الإسنادي الفعلي بسبب ظروف المقال وملابساته، "فكثيرا ما يدور الكلام بين المتخاطبين فيرسلون جملا فعلية، لم يظهر فيها فعل ولم يصرح فيها بلفظه، اكتفاء بما يدل عليه من دلائل وملابسات، ولا يشعرون وهم يتخاطبون أنهم حذفوا أهم أجزاء الكلام، لأنهم اكتفوا بما يدل على الفعل من سياق"[2].

فليس لحذف الفعل أي أثر سلبي ما دام لذلك تسهيل وخدمة لعملية التواصل وإبقائها قائمة بين الأطراف.

وكما يقع الحذف في المسند يقع كذلك في المسند إليه، لأن معرفة المتلقي للفاعل تجوّز للمتكلم حذفه.

وقد تقتضي ظروف القول أحيانا أن "يذكر المفعول، وإلا عاد الخبر أو الكلام خاليا من الفائدة، فلو كان المخاطب مثلا يعلم أنك أعطيت، ولكنه لا يعلم من أعطيت وما أعطيت، ثم قلت أعطيت، وسكت، كان كلامك ناقصا ومخاطبك منتظرا تعريفه بما يجهل، ولن يصح كلامك إلا إذا قلت : أعطيت زيدا درهما"[3].

وقد أطلق البلاغيون على هذا النوع من الإخبار اسم " فائدة الخبر" وهو إفادة المخاطب الحكم وما تتضمنه الجملة[4].

---

[1]- مهدي المخزومي، في النحو العربي، قواعد وتطبيق، ص126.
[2]- مهدي المخزومي، في النحو العربي، المرجع نفسه ، ص126.
[3]- مهدي المخزومي ، في النحو العربي،نقد وتوجيه، ص96.
[4]- ينظر: الخطيب القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، تح عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1997،ص11.

3). الجملة بين قيود النظام النحوي والبلاغي:

إن البحث في الجملة مهما كان نوعها يقودنا إلى الحديث عن نظام وترتيب وحداتها اللغوية.

وأول من تحدث عن مناسبة الكلمة لموقعها من الجملة هو سيبويه (تـ 180هـ)، ففي تعريفه للكلام المستقيم والقبيح يقول: "هو أن تضع اللفظ في غير موضعه" [1] ودل على كلامه بمثالين هما على التوالي: قد زيدا رأيت، و كي زيدا يأتيك.

وهو يشير صراحة إلى أن للكلمات مواضع ومراتب يحسن على المتكلم اختيار الأنسب والأليق منها.

وفي مراعاة ذلك ينشأ "الكلام المستقيم الحسن" ومن أمثلته "أتيتك أمس" و"سآتيك غدا"[2].

ومرد الاستقامة في هذين المثالين هو احتلال الوحدات لمواقعها وإفادتها للمعاني.

فهناك موقع "يشغله العنصر اللغوي إضافة إلى الوظيفة التركيبية والدلالية التي يقوم بها، وصاحب اللغة هو الذي ينتج العلاقة بين العنصر والموقع والوظيفة"[3].

ولما كان هناك تفاوت بين الوحدات في المواقع والوظائف، فقد "وضع الفعل في قمة العناصر اللغوية لما يتميز به من القوة وبالتالي في العمل [4] الذي يشغله؛ فهو من الأطراف الرئيسية لكونه يمثل دور الإسناد في الجملة الفعلية.

والإسناد عند النحويين هو نفسه عند البلاغيين، أي أنه "ضم كلمة أو ما يجري مجراها إلى أخرى، بحيث يفيد الحكم أن مفهوم إحداهما ثابت لمفهوم الأخرى، أو منفي عنها"[5].

---

[1]- سيبويه، الكتاب، 01/25-26.
[2]- سيبويه، المصدر نفسه، ص01/26.
[3] - سعد حسن بحيري، دراسات في علم اللغة التقابلي، ص174.
[4]- سعد حسن بحيري، المرجع نفسه، ص226.
[5]-سعد أبو الرضا، في البنية والدلالة، ص87.

وتعد دراسة عناصر الإسناد " ومعرفة مواقع الكلمات في التركيب من أدق المباحث وأخفاها" [1]، وأقدمها، فلا قيمة ولا عمل للكلمة إلا عندما تضم إلى أختها، فيصبح "لكل واحدة منها موقعا أو رتبة، فحين نقول مثلا: إن هذه الكلمة (فاعل) فإننا نعني أن قبلها (فعلا) بينه وبين الفاعل علاقة من نوع ما"[2].

والسمة النحوية[*] التي تنشأ من علاقة الفعل بالفاعل هي كعلاقة المبتدأ بالخبر، لا يمكن عزل أحدهما عن الآخر.

ويمثل النظام النحوي "الهيئة التركيبية التي تخضع لها المفردات، بحيث تصبح منظومة في الجملة وتؤدي وظائف نحوية مثل الفاعلية والمفعولية والظرفية"[3].

ولئن كانت البينة الإسنادية –والذي يمثلها المستوى النحوي- بنية ثابتة، فهذا لا ينفي عنها التأثير والقوة التعبيرية، لأن المبدع / المتكلم هو الذي يخلق علاقات متفاعلة ومتجددة من خلال طرفي الإسناد [4].

وهو ما يؤدي إلى نشأة البنية البلاغية المتحركة، وعليه فالبنية الثابتة هي التي تتحول بفعل عوامل وآليات إلى بنية متحركة.

وقد رأينا في العنصر السابق أن تركيب الجملة يخضع إلى ظروف القول وملابساته، وأن "أوضاع الكلام تختلف في الجملة باختلاف هيئة المشاعر والأحاسيس"[5]، فيعدل المتكلم أحيانا إلى مخالفة النظام اللغوي لأغراض بلاغية.

ولئن بدا المستوى النحوي والبلاغي منفصلين عن بعضهما، إلا أنهما يعملان جملة واحدة وفي لحظة واحدة، حيث لا يتحقق البيان، ولا تؤدي الجملة وظيفتها إلا بهما[6].

---

[1] – محمد حسين أبو موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، ص94.

[2]- عبده الراجحي، التطبيق النحوي، ص77.

[*] مثل: ترتيب الكلمات في الجمل، أن يأتي الفعل في أول الجملة الفعلية، أو كان يأتي المبتدأ في أول الجملة الاسمية ومن ثم الخبر.

[3]- محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة، ص162.

[4]- ينظر: سعد أبو الرضا، في البنية والدلالة، ص106.

[5]- حلمي مرزوق، النقد والدراسة الأدبية، ص84.

[6]- ينظر: عمار ساسي، الإعجاز البياني في القرآن الكريم، ص217.

4). الوظيفة النحوية والبلاغية للجملة:

تستند الدراسة التركيبية حديثا على مستويين مختلفين ومتلازمين:

1) يمثل المستوى الأول ما تحمله الجملة من معاني وأفكار.

2) ويمثل المستوى الثاني شكلها الظاهري التركيبي.

وينشأ عن هذين المستويين البنية العميقة والسطحية، حيث تشكل الأولى التفسير الدلالي للتركيب، وأما الثانية فإنها تختص بالنظام السطحي للوحدات[1].

فأي تركيب لغوي أو تتابع للكلمات ينطوي على فكرة معينة تنتقل بطريقة أو بأخرى من طرف إلى آخر.

ومن المعلوم أن التواصل اللغوي يقتضي وجود لغة مشتركة بين الباث والمتلقي.

ولما كانت الجملة بنوعيها-نواة اللغة الإنسانية من حيث دلالتها على معنى تام، إذ تعتبر "الصورة اللفظية للفكرة"[2]، فإن لديها وظيفة تسعى إلى تحقيقها، ألا وهي "نقل ما في ذهن المتكلم من أفكار إلى ذهن السامع"[3].

وقبل أن تصير الجملة إلى ما هي عليه من سلسة كلامية متماسكة البناء يقوم المرسل بعملية التأليف؛ وهو "ربط الصور الذهنية المفردة بعضها ببعض، على نحو تتحقق معه صلة ونسبة بين هذه الصور، فإذا أراد أن يعبر عن ذلك أو ينقله إلى ذهن السامع أو المخاطب عبر عنه بمركب لفظي"[4]، حيث تترجم الجملة المعاني الناشئة لدى لدى المرسل قصد نقلها إلى المتلقى.

والتأليف السليم هو الذي ينتج جملا سليمة تعبِّر عن الغرض.

ونذكر على سبيل المثال –لا الحصر- حديث عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) عن موضوع التأليف في كتابه "الدلائل"، وهو يصرح بما يلي: " فالخبر وجميع الكلام معان ينشئها الإنسان في نفسه، ويصرفها في فكره ويناجي بها قلبه، ويراجع فيها عقله وتوصف بأنها مقاصد وأغراض"[5].

---

(1) Voir : Naom chomsky-la linquistique cartésienne. traduits par : Nelcya Delanoe et dan sperber. Edition du seuil, Paris, 1969, p61.

(2)- مهدي المخزومي، في النحو العربي، قواعد وتطبيق، ص83.

(3)- مهدي المخزومي، المرجع نفسه، ص84.

(4)- مهدي المخزومي، المرجع نفسه، ص82.

(5)- عبد القاهر الجرجاني –دلائل الإعجاز،ص48.

والإنشاء في كلام الجرجاني هو نفسه "التأليف" ويدل على أن الإنسان يقوم بعملية ذهنية داخلية تعبر عن غرض معين، كأن يقوم بإسناد نسبة الحرارة إلى الجو فيقول: "الجو حار" أو أن يسند الدخول إلى زيد فيقول: "دخل زيد".

والنتيجة التي تنجم عن التأليف الذهني هي التعليق اللغوي، "ولفكرة التعليق أهمية بالغة في معرفة أجزاء الكلام وتعلّق بعضه ببعض لتخريج معانيه ودلالاته"[1].

ولولاه لانعدم المعنى وتعسّر على المرسل التوصيل والتواصل، ويمكن القول أن الكلمات من دون تعليق بعيدة كل البعد عن المظهر الدلالي، وأن انتظامها في الكلام وانسجامها لا يقومان إلاّ به[2].

ويرجع امتداد موضوع التعليق في تراثنا العربي إلى كلام عبد القاهر الجرجاني (تـ 471 هـ) في "دلائل الإعجاز" حيث يقول: "لا نظم في الكلام ولا ترتيب حتى يُعلَق بعضها ببعض ويُبنى بعضها على بعض وتجعل هذه سببا من تلك" [3]؛ فالتعليق والبناء هما الشرطان الأساسيان في نظم الكلام وترتيبه؛ أي على نحو تتحقق معه الصلات والوظائف النحوية فتؤدي الجملة المعنى والغرض.

ونجد في الدراسات اللسانية الحديثة – خصوصا لدى مدرسة كوبنهاقن – ارتكاز نظريتهم على مفهوم التعليق، فهم "يرون أن عملية الكلام تتكون من عناصر تتألف من تراكيب مختلفة وأن هذه العناصر ذات علاقات خاصة فيما بينها"[4].

فالمعاني قاسم مشترك بين الجميع، أما الاختلاف فإنه يكمن في طريقة عرض الفكرة وصياغة التركيب.

والعامل المهم في استنباط المعاني واستخراجها- بالنسبة لهذه المدرسة- هو العلاقات القائمة بين أجزاء الكلام في التراكيب اللغوية[5].

فللتأليف الذهني فضل في الإسناد والتعليق اللغويين، لأن "عنهما تكون المعاني التي يريد المتكلم إبرازها ويستطيع السامع إدراكها"[6].

---

(1)- قلايلية العربي، التقديم والتأخير في التراكيب اللغوية، (مخطوط)، ص71.
(2)- ينظر: قلايلية العربي، المرجع نفسه، ص78.
(3)- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص102.
(4)-قلايلية العربي، التقديم والتأخير في التراكيب اللغوية، ص84.
(5)- ينظر: قلايلية العربي، المرجع نفسه، ص85.
(6)- بدوي طبانة، البيان العربي، ص164.

فكلمات اللغة تأتلف وتتراكب معا "لتكون الجملة المستقلة بمضمون إبلاغي" [1]، فيفيد المتلقي ويجني منها من المعاني المختلفة حسب ما يقتضيه كل مقام.

ولهذا "تتميز الجملة ببنيتها وبمعناها، فيكتفي بها المتكلم في إرسال المعنى الذي أراده، ويكتفي بها السامع في فهم ذلك المعنى"[2]، حيث تتفاعل في الجملة بنيتان:

أ- بنية التركيب.

ب- وبنية الإبلاغ.

وتختص البنية الأولى بالمرسل لأنه يقوم باختيار الوحدات اللغوية ويسند بعضها إلى بعض، بينما تختص البنية الثانية بالمتلقي فهو يسعى إلى اكتشاف معناها واستخلاص مقصدها.

ولقد أدرك العلماء منذ القديم الدور المهم الذي يحتله الكلام أو الجملة في التواصل اللغوي.

ويشير أبو القاسم الزجاجي (تـ 337 هـ) إلى ذلك بقوله: "ونحن نعلم أن الله عز وجل إنما جعل الكلام ليعبّر به العباد عما هجس في نفوسهم وخاطب به بعضهم بعضا"[3]، فالوسيلة التعبيرية الأساسية بين الأفراد هي الكلام، وعليه يقوم التخاطب بينهم.

وأكد الباقلاني (تـ 403 هـ) هذه الفكرة قائلا:" الكلام موضوع للإبانة عن الأغراض التي في النفوس"[4].

وهي إشارة صريحة منه إلى وظيفة الكلام من حيث تبيينه عن مقاصد الناس وكشف ما يريدون نقله من المعاني.

وبفضل ما يقوم به المتكلم من ربط العناصر اللغوية فيما بينها يتحقق شرط الإفادة في الكلام، وللرازي (تـ 606 هـ) في كتابه "نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز" حديث في هذا الموضوع، حيث يقول: "بل الحق أن الغرض الأصلي من وضع المفردات لمسمياتها أن يُضم بعضها إلى بعض ليحصل منها الفوائد المركبة، وهكذا جميع المفردات مع ما يتركب منها. واعلم أنه يلزم مما بيّناه أن يكون ذكر المفردات وحده بمنزلة نعيق الغراب

---

[1]- محمد خان، الجملة والكلام، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة باتنة، ع6 ، جوان 2002، ص190.

[2]- محمد خان، المرجع نفسه، ص190.

[3]- أبو القاسم الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، ص43.

[4]- الباقلاني، إعجاز القرآن،ص88.

في الخلو عن الفائدة"[1]، فالنتيجة التي نتوصل إليها من خلال ضم الكلمات وتركيبها مع بعض هي إنشاء كلام تام ومفيد يتفاعل فيه-على حد سواء- كل من الباث والمتلقي.

وعليه فإن المفردات محتاجة إلى غيرها لتكتمل وظيفتها، ووجودها في التركيب ضروري كضرورة وجود الإنسان في المجتمع.

حيث يتفاعل الأفراد فيما بينهم ويتبادلون التأثير والتأثر مما يخول لكل واحد منهم وظيفة خاصة تسهم بنسبة معينة في بناء أركان المجتمع واستمرار بقاءه، وكذلك هو الحال بالنسبة للمفردات التي لا قيمة لها إلا بمجاورة الواحدة للأخرى، "فاللفظ المفرد من حيث هو لا يؤدي إلا معنى مفردا، و المعاني المفردة لا تكوّن لغة، وإنما الجمل والتراكيب هي التي تكونها" [2]، فأساس وجود اللغة هو ما تحمله تراكيبها من معاني مفيدة وتامة.

فللجملة إذا وظيفة هامة وأساسية، وهي وظيفة تبليغية تواصلية.

[1]- الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، ص71.
[2]- حسن عون، تطور الدرس النحوي،ص42،

الفصل الثالث

الرسالة اليتيمة في ضوء التفاعل التركيبي والبلاغي.

1- عناصر الاتصال عند ابن المقفع.

2- صفات القائل والسامع.

3- خلاصة القول.

تعد الرسالة اليتيمة لابن المقفع[1] نموذجا لغويا اجتمعت فيه الخصائص والمقوّمات التركيبية والبلاغية، فهي كغيرها من الرسائل ذات شكل ومضمون.

ولما كانت كذلك اقتضت دراستها من حيث هندستها البنائية التركيبية، وتوزيع تلك البنية على مقتضى أسلوبي أدائي، يحقق على الأقل غايتين: الغاية التوصيلية والغاية التأثيرية الجمالية.

وقسَّم الرسالة على فقرات، كل فقرة راوح فيها ابن المقفع بين الجمل الاسمية والفعلية.

وأول ما ابتدأ به كلامه "وقد أصبح الناس –إلا قليلا ممن عصم الله- مدخولين منقوصين".

فجملة "وقد أصبح الناس مدخولين منقوصين" هي تركيب إسنادي فعلي تامّ المعنى، يتألف من الأداة "قد" والتي من أغراضها تأكيد الخبر [2]، فدخولها على الفعل الماضي "أصبح" يحقق ذلك.

أمّا الفعل "أصبح" فهو يدلّ على تحوّل من حال إلى حال، ويمثل اسمها (الناس) ركنا أساسيا في تركيب الجملة، لأنه بمثابة المسمى والشيء والصورة والمشهد.

فحين وضعه ابن المقفع في صدارة الخطاب، أراد به الاستقطاب والاستحواذ على ذهن المتلقي، ليتوقع ما يخبره به عنه.

وخبرها "مدخولين"، "منقوصين" دال يعبر عن شتى معاني اللؤم، ويدل على القطيعة والتشاؤم لدى ابن المقفع، الذي افتقد في عصره ومحيطه لصفات الكمال.

ولأنه أراد أن يثبت ذلك مطلقا، عمد إلى الإخبار بالاسم[3].

واستثنى ابن المقفع فئة من الناس، لكي لا نعتقد بأن جميعهم مدخولون منقوصون.

---

(1)- "ابن المقفع": الكاتب البليغ، ربي تربية إسلامية، وأولع بالعلوم والآداب. لا يشق له غبار في حسن البيان ومتانة التبيان.
كتب "لداود بن يوسف بن عمر بن هبيرة" أحد ولاة الدولة الأموية. وكتب "لعيسى بن علي" عم السفاح وعلى يده أسلم. ثم كان في خدمة أخيه سليمان بن علي منذ كان واليا على البصرة.

(2)- ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب،1 /297س.

(3) ينظر: محمد بن عمر الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز،ص: 75.

ونجد مثل هذا الأسلوب في القرآن الكريم في سورة العصر؛ حيث يقول الله تعالى: (إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)[1]؛ حيث أقسم الله تعالى (بالعصر) على أن الإنسان لفي خسر وهلاك، ثم استثنى من جنس الإنسان عن الخسران الذين آمنوا بقلوبهم وعملوا الصالحات بجوارحهم [2] فصيغ الاستثناء لكي لا يقع الظن بأن كل إنسان خاسر[3].

ووقع الاستثناء –إلاّ قليلا ممن عصم الله- موقع الجملة الاعتراضية، وهي تفيد تقوية الكلام وتسديده أو تحسينه[4].

ومن خلال تحليل الجملة السابقة يتجلى لنا بوضوح كيف تفاعلت بنية التركيب والإسناد (الجملة الفعلية) مع البنية البلاغية المتمثلة في الغرض الذي رامه ابن المقفع، فقد سعى من خلال كلامه إلى تأكيد صفة الناس في عصره؛ أي كيف أصبحوا بلا مبادئ وأخلاق وقرر ذلك وأثبت بفعل تعليق العناصر ببعضها.

وهذا التحول الذي طرأ في مجتمع ابن المقفع هو تحول سلبي مذموم، سيأتي تفصيله والإخبار عنه في الفقرات اللاحقة.

بحيث استرسل ابن المقفع في الفقرة نفسها وبسط القول في توصيف المجتمع، إذ نراه يحيط بالفئات والأوساط بما تميزوا به فئة فئة ووسطا وسطا.

وقد نزع في منحاه الخطابي إلى فاعلية المقابلة، فهو لا يفتأ يطرح المعنى ويجليه على نحو فوري بما يقابله.

---

(1) سورة العصر، الآية رقم03.
(2) ينظر: ابن كثير –تفسير القرآن الكريم ص 515.
(3) محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة، ص:60.
(4) ينظر: ابن هشام –مغني اللبيب عن كتب الأعاريب- تح حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، ط، 1991، 21/2.

والمقابلات التي ذكرها هي كالآتي:

المعنى الأول	مايقابله
- قائلهم باغ.	سامعهم عياب.
- سائلهم متعنت.	مجيبهم متكلف.
- واعظهم غير محقق لقوله بالفعل.	موعوظهم غير سليم من الهزء والاستخفاف.
- مستشيرهم غير موطن نفسه على إنفاذ ما يشار به إليه.	مستشارهم غير مأمون على الغش والحسد.
- الأمين غير متحفظ من ائتمان الخونة.	الصدوق غير محترس من حديث الكذبة.

ولا يزال ابن المقفع يجنح في هذه المقابلات إلى ثنائية المبتدأ والخبر، ليؤكد ما ذهب إليه في بداية الرسالة؛ في أن مجتمعه تسوده الصفات الذميمة وتنتشر فيه الأمراض الأخلاقية.

وأسلوب المقابلة في حد ذاته لون أدبي "يوفّق الأديب من خلاله بين المعاني التي يطابق بعضها بعضا، ويجمع بين المعنيين اللذين تكون بينهما نسبة تقتضي لأحدهما أن يذكر معه الآخر من جهة ما بينهما من تباين أو تقارب"[1].

وفي التوفيق والجمع بين المعاني المتباينة والمتقابلة أثر في نفس المتلقي، ورغبة من ابن المقفع في تحقيق هذا الغرض، وظف هذا النوع من الأسلوب التلويني، حيث يعرض الصورة في البدء بمسحة البياض ويحددها بمسحة أخرى مجاورة لها هي مسحة السواد.

فالكيفية الأدائية التي ميزت النص أو الرسالة، تزاوج بين الموضوع ومحموله، بين المعنى وما يقتضيه، أي بين الشيء وظلّه.

فالفرد في عصر ابن المقفع غير مختلف مع من يتعامل معه؛ فالقائل كالسامع، والسائل كالمجيب، والواعظ كالموعوظ، والمستشير كالمستشار.

[1]- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص52.

إذ تتميز هذه البيئة باتفاق أطرافها على السلبية، فالموعوظ -مثلا- ليس هو فقط من ينفر من سماع الوعظ وتمثيله وتجسيده في ذاته، بل إن الواعظ نفسه زائف فيما يدعيه، كاذب فيما يقوله، ومنافق فيما يلوح به من شعار.

وهو أمر من الخطورة بمكان، فعندما لا تجد رسالة المصلحين المتلقي الإيجابي والمستمع الملبي، فإنها تفقد مصداقيتها ولا تحقق غايتها.

فالأوصاف والنعوت التي ذكرها ابن المقفع (باغ،عيّاب،متعنّت،متكلّف) تقوم على المفارقة السلوكية والقيمية، إذ أن علاقة التفاعل والتعامل بين الأفراد بحسب وجهة نظره، هي علاقة ذات أسس مفككة ومحلولة.

وفي استخدامه لصيغ التكسير الآتية: الخونة، الكذبة، الفجرة، إيحاء بمعاني الانتقاص، لأن جمع التكسير يدل في أصله على قلة العدد[1].

ويذكرنا هذا ببيت حسان بن ثابت في قوله:

لَنَا الجَفَنَاتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ بِالضُّحَى وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمَا

فالجفنات والأسياف جمع قلة"[2].

والتراكيب الاسمية التي ذكر فيها ابن المقفع صيغ التكسير هي:

1) والأمين منهم غير متحفظ من ائتمان الخونة.

والخونة نسبة إلى الخيانة، يقال "خؤون وخوّان والجمع خانة وخونة، وقوم خونة، وقد خانه العهد والأمانة" [3]، وقد اختصت الخيانة بالعهد والأمانة فقط، بحيث لا تطلق هذه الكلمة إلا عندما تقع في هاذين الشيئين؛ قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[4].

ويؤدي انتشار مثل هذه الصفة في المجتمع إلى انعدام الثقة بين الأفراد.

2) والصدوق غير محترس من حديث الكذبة.

جاء في المعجم "الكذب نقيض الصدق. كذب الرجل أخبر بالكذب. كذبني فلان: أي لم يصدقني فقال لي الكذب"[5].

---

(1) ينظر: أبو محمد الحريري، شرح ملحة الإعراب، تح. بركات يوسف هبود. المكتبة العصرية، بيروت2001، ص 120.

(2) ينظر: محمد حسين أبو موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، ص93.

(3) ابن منظور، لسان العرب، المجلد13، ص 144.

(4) سورة الأنفال، الآية27.

(5) - ابن منظور، لسان العرب، المجلد الأول، ص706.

وفي هذا التركيب طابق ابن المقفع بين صفتين هما الصدق والكذب، وهما صفتان متلازمتان فذكر إحداهما يؤدي إلى استحضار الأخرى مباشرة.

3) وذو الدين غير متورع عن تفريط الفجرة، يقال: "فجر الإنسان يفجر فجرا وفجورا: انبعث في المعاصي، وجمعها فجّار.

ورجل فاجر من قوم فجار وفجرة. وفجر إذا ركب رأسه فمضى غير مكترث. والفجور أصله الميل عن الحق"[1].

ودلالة جمع التكسير والأوصاف في التراكيب السابقة هي دلالة انتقاص لقدر وقيمة الأشخاص، وتبيين مدى حقارتهم.

ونظرا لانتشار الصفات الذميمة في المجتمع فقد عمد ابن المقفع إلى توظيف صيغة الجمع في مقابل صيغة المفرد فقد ذكر:

1. الأمين .... الخونة.
2. الصدوق .... الكذبة.
3. ذو الدّين .... الفجرة.

وتوحي هذه المفارقة العددية على أنّ أحاسن الناس في ذلك العصر أقلّ عددًا وانتشارًا من المفسدين واللذين امتلأ بهم المجتمع آنذاك.

وتكرر في الأمثلة السابقة ذكر "غير" في كل تركيب، "وهو اسم محض لا ظرفية فيه، يدل على مخالفة ما قبله لما بعده في ذاته، وحقيقة تكوينه، أو في وصف من الأوصاف العرضية التي تطرأ على الذات"[2].

فكل تلك الصفات يخالف بعضها بعضا كمخالفة الليل للنهار، فالأمين **يخالف** الخائن، والصدوق **يخالف** الكاذب وذو الدين **يخالف** الفاجر.

ولهي دليل قاطع على تدهور الأحوال والأوضاع في محيط ابن المقفع وبيئته، مما يجعل رؤية الانتقاد تطغى على الرسالة.

وبعد تأكيده أوصاف الناس وأوضاعهم بالجمل الاسمية، قام بفصل الحديث والاستئناف في الفقرة نفسها بذكر ما يقومون به من أعمال وأفعال سيئة وشريرة، فهم:

---

[1] - ابن منظور، المصدر نفسه، المجلد الخامس، ص46-47.

[2] - عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، ص131.

1) يتقارضون الثناء.

2) ويترقبون الدول.

3) ويعيبون بالهمز.

و تعود الضمائر في يتقارضون ويترقبون ويعيبون، كلها على سابق في الرتبة، والأفعال معطوفة فيما بينها بحرف الواو، بحيث أراد ابن المقفع أن يناسب بالعطف بين الجمل في الفعلية وفي المضارعة والغرض من ذلك أن أولئك الأفراد يشتركون في أفعالهم.

وفي الجملة الأولى "يتقارضون الثناء "المتألفة من الفعل والفاعل والمفعول به استعارة مكنية، حيث أصبح الثناء، وهو أمر معنوي في عصر ابن المقفع كالشيء الذي يباع ويشترى، وهو اختيار موح، فلفظ "يتقارضون" يحيل إلى البيع والشراء، ولا محالة في أن مجتمعا تسوده الرذيلة يتعامل بعقلية المبايعة المادية، فالذمم تشترى بالثمن لا بالفضيلة والمكارم.

ويرجع الفضل في إثبات هذه الحقيقة[1] إلى الاستعارة؛ التي جسمت الأمر المعنوي في مادة محسوسة شاخصة للعيان، فقربت البعيد ووضحت المبهم[2].

وتشمل الجملة الثانية "يترقبون الدول" والمؤلفة كذلك من الفعل والفاعل والمفعول به على إيجاز بليغ، فهي تحمل من المعاني الكثيرة، إذ يتطرق ابن المقفع من خلالها إلى المنحى السياسي الذي ميز تلك البيئة.

فعلاقة الأفراد بالحاكم علاقة انتفاع لا أكثر، ولهذا عبر عن حال اللاانتماء بالفعل المضارع "يترقبون".

والأوساط والفئات لا تجمعها رابطة قيادية، تمضي بها نحو تحقيق أهداف اجتماعية ومدنية، بل العكس من ذلك، فهم أشتات وعصب يتطلّعون إلى زوال الحاكم لكي يخلفه حاكم آخر تؤول إليه شؤون الدولة فينتفعون به على حساب البقية.

وهذا الوضع الذي عبّر عنه ابن المقفع قد تكون شروطه قائمة حتى في عصرنا الراهن.

---

(1)- ينظر عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص:117. ويوسف أبو العدوس، الاستعارة في النقد الأدبي الحديث، منشورات الأهلية، عمان، الأردن، ط1، 1997، ص: 117.

(2) ينظر: ربيعي محمد علي عبد الخالق، البلاغة العربية ووسائلها وغاياتها في التصوير البياني، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1989، ص 74.

فالبنية الثابتة الإسنادية والتي عبّر بها ابن المقفع تتشكل أساسًا من عناصر الإسناد الأساسية وهي المسند والمسند إليه، تفاعلت مع البنية البلاغية المتمثلة في إثبات الحقائق الاجتماعية ووصفها عن طريق المقابلة والاستعارة والإيجاز.

ولعل أبرز ما يسجل على أفراد هذا المجتمع –كما ذكر صاحب الرسالة- انعدام الهمة وليونة العظم والإرادة، وهو ما عبر عنه بقوله:

"1) يكاد أحزمهم رأيا يلفته عن رأيه أدنى الرضا.

2) ويكاد أمتنهم عودا أن تسحره الكلمة"[1].

فقد بالغ ابن المقفع في وصفهم من خلال اسمي التفضيل: أحزمهم وأمتنهم، وقد أدتا في التركيب دلالة قوية وبلاغتها تدلّ على أنهم أذيال أراذل عرضة للتأثير والانقياد بأدنى الأسباب رغم ما تميزوا به من شدة الحزم ومتانة العود.

وفي التوطئة التي افتتح بها ابن المقفع رسالته –حيث وجه فيها الخطاب توجيها عموميا- نراه ينعطف فيها بالقول من خلال التخصيص في الجملة الآتية: "وقد ابتليت أن أكون قائلا"[2]؛ فالضمير في الفعلين: "ابتليت" و"أكون" يعود على المتكلم "أنا".

وقد مكنه هذا الانعطاف من الشروع في مواجهة المتلقين وتسديد السهام نحوهم مباشرة، بعد أن وطأ لذلك في صورة شمولية هيّأ بها مخاطبيه.

وكون ابن المقفع قائلا وغيره سامعا فليس ذلك بنعمة، وهو ما جعله يوظف الفعل "ابتليت"، و"ابتليتم" ليدل على أن القول والسماع على حد سواء ليسا بالأمر السهل، ولهذا عطف بالواو ابتلاء القائل بالسامع، وأكد ذلك في بداية الجملة بالأداة "قد".

ولأن الموقف الذي يقفه ابن المقفع يجنح نحو التسامي الأخلاقي، يعود في الفقرة نفسها إلى نزعة التعميم، فهو لا يريد أن يخص أحدا بالذكر، ويشرع في ذكر مجموعة من الشروط ينبغي أن تتوفر في عناصر الاتصال.

وتعدّ هذه الالتفاتة مهمة جدا، وهي تشكّل حضورا قويا في التحليل اللساني الحديث[3].

---

(1) آثار ابن المقفع، منشورات دار مكتبة الحياة، لبنان، بيروت، ط3، 1978، ص: 365. أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة، المجلد3، ص: 48-49.

(2) أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة، المكتبة العلمية، لبنان، د.ت، ص: 49.

(3) ينظر: أحمد عزوز، المدارس اللسانية، ص119.

فقد ذكر العناصر الأساسية التي يقوم عليها التواصل اللغوي، وهي حسب تقسيمه ثلاثة: القول والقائل والسامع.

1- القول:

ويعني بالقول الرسالة، وهي "مضمون المعلومات المنقولة من المرسل إلى المرسل إليه"[1].

والغاية التي وجدت من أجلها الرسالة هي تحقيق المنفعة، وأساس كل ذلك الصدق في القول.

وقد ورد عن ابن المقفع في "الأدب الكبير" أنه إذا "أردت أن يقبل قولك، فصحح رأيك ولا تشوبنه بشيء من الهوى" [2]. لأنّ ذلك يسبّب نفور السامع وعدم تصديقه للكلام.

وهو يؤكّد في الأدب الكبير -كذلك- أن "أصل الأمر في الكلام أن تسلم من السقط بالتحفظ، ثم إن قدرت على بلوغ الصواب فهو أفضل"[3].

وبالإضافة إلى الصدق في الرأي، أشار ابن المقفع في الرسالة إلى ضرورة خضوع الرأي أو الكلام إلى المقام أي أن يكون لكل مقام مقال، حيث قال: "ولا رأي إلا في موضعه وعند الحاجة إليه" [4]. فظروف القول هي التي تتحكم في إنتاج الخطاب وصنعه.

2- القائل والسامع:

يذكر ابن المقفع شروط القائل والمستمع بقوله: "فإن خير القائلين من لم يكن الباطل غايته ثم لزم القصد والصواب، وخير السامعين من لم يكن ذلك منه سمعة ولا رياء ولم يتخذ ما يسمع عونا على دفع الهدى، ولا بلغة إلى حاجة دنيا"[5].

وهو يعطف القائل بالسامع لأن العلاقة بينهما هي علاقة تجاذب وتجاوب، فلا وجود لأحدهما بمعزل عن الآخر، ومن مهام القائل تركيب الرسالة ومن واجب المستمع

---

(1) أحمد عزوز، المرجع نفسه، ص:119.

(2) ابن المقفع، الأدب الصغير والأدب الكبير ورسالة الصحابة، كتب الدراسة وشرح النصوص، يوسف أبو حلقة، مكتبة البيان، بيروت، ط2، 1960، ص: 85.

(3) ابن المقفع، المصدر نفسه، ص:66.

(4) أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب في العصور العربية الزاهرة، ص49.

(5) أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب في العصور العربية الزاهرة ، ص49.

فكها وإدراكها والعمل بها، وقبل أن يحصل ذلك على المتلقي أن يكون إيجابيا فلا يستمع إلى الكلام لمجرد التظاهر أمام الناس.

ومن بين ما نصح به ابن المقفع المستمع في "الأدب الكبير" قوله: "تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام، ومن حسن الاستماع إمهال المتكلم حتى يقضي حديثه وقلة التلفت إلى الجواب والإقبال بالوجه والنظر إلى المتكلم، والوعي لما يقول" [1]، فمن شأن ذلك أن يسهل التواصل بين الطرفين.

ثم يواصل ابن المقفع الحديث عن القائل والسامع بقوله: "فإن اجتمع للقائل والسامع: أن يرزق القائل من الناس مقة وقبولا على ما يقوله، ويرزق السامع اتعاظا بما يسمع في أمر دنياه فعسى ذلك أن يكون من الخير، كما أن المريد بكلامه أن يعجب الناس قد يجتمع عليه: حرمان ما طلب مع سوء النية وحمل الوزر" [2]، حيث يبني ابن المقفع تصورا تتحقق به قيمة الفعل البثي والتأثير القولي، فلا ينبغي للقائل أن يتقصد إلى مجرد انتزاع إعجاب السامعين، لأن الغاية الإرسالية هي غاية جادة لا تناط برد الفعل الآني، فهي تنشد إلى تحقيق الغاية الجوهرية والتمكين للقيمة الأخلاقية.

وعليه فإن مصداقية الباث –انطلاقا من خطابه المقنع- توطئ لمصداقية المتلقي، لأن هذا الأخير بمثابة المحطة التي تقوم بالفرز والاستجابة على قدر ما ينتهي إليها من أثر جاد تحمله الرسالة.

فإذا ما تمكن منها القول وقام باختراقها ونال اهتمامها تفاعلت معه وأقرت له بالمعقولية.

وليؤكد ابن المقفع كلامه من حيث قيمة التأثير والتأثر الناشئ بين الباث والمتلقي استحضر الشرط الديني ليحسس بقيمته، حيث قال: "فعسى ذلك أن يكون من الخير الذي يبلغه الله عباده، ويعجل لهم من حسنة الدنيا ما لا يحرمهم من حسنة الآخرة" [3]؛ وهو رجاء وأمل في أن يلحق ثواب الله -عز وجلّ- حسن نية القائل والسامع معا.

---

[1] ابن المقفع، الأدب الصغير والأدب الكبير ورسالة الصحابة، ص140.
[2] أحمد زكي صفوت، المصدر نفسه، ص49.
[3] أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة، ص49.

والفعل الذي دلّ على رجاء وأمل ابن المقفع هو "عسى"، ويراد من هذا الفعل تحقيق أمر مطلوب يفهم من الفعل المضارع مع مرفوعه[1].

وعطف ابن المقفع في هذا المثال رجاء تعجيل الحسنة ببلوغ الخير للعباد، وهو شيء يترقب وقوعه عاجلا غير آجل في مجتمعه.

وبعد التوطئة التي افتتح بها ابن المقفع نصه –إلى غاية الآن-، سارع مباشرة إلى الإجابة عن سؤال وجه إليه.

وقد هيّأ الجواب في شكل خطاب، ولما كانت الرسالة اليتيمة عبارة عن مقال ردي، فإنها حتما تتحلى بخصيصة الإقناع، ومادته –أي الإقناع- يتم ارتكاز القول فيها على الحجة والوضوح والتكثيف للرسالة حتى لا يلتبس على ذهن المتلقي القصد، وهذا ما لمسناه ونحن نتابع رده على السؤال.

حيث قال: "أما سؤالكم عن الزمان: "فإنّ الزمان الناس"."[2].

وهي جملة اسمية تتكون من أداة التأكيد "إن" والمبتدأ والخبر (الزمان- الناس).

وقد عرف فيها ابن المقفع المفهوم التجريدي للزمان بماهيته الحسية، وجعل الناس مرادفا له إبرازا وتأكيدا منه للمعنى.

والمسند "الناس" جاء معرفا بأل الجنسية، "ليفيد بذلك التعيين في المسند وإفادة حصره في المسند إليه"[3].

ثم يعطف بعد ذلك ويقول: "والناس رجلان: وَال ومُوَلًّى عليه"[4].

ففي الجملة الأولى "الناس رجلان" ذكر فيها المبتدأ والخبر (الناس- رجلان).

والملفت للنظر في هذا التركيب أنّ ابن المقفع ذكر كلمة "رجلان" ولم يقل مثلا: صنفان أو نوعان أو ما شابه، والهدف من ذلك هو تخصيص الخبر وتحديده، فكلمة "رجلان" أقرب وأبين من غيرها، كما أنّها اشد تأثيرًا في القارئ / السامع.

وفي الجملة التفسيرية التي تليها حذف المسند إليه وهو "رجل"، لأن أصل الجملة هو كالآتي: "رجل وال ورجل مولّى عليه". وقد حذف المبتدأ في هذا التركيب حتى : "لا يفقد العبارة الإيجاز، ويقلّل وجوده من وقعها القوي السريع المؤثّر في نفس المتلقي"[1].

---

(1) ينظر: عباس حسن، النحو الوافي، ص221.
(2) أحمد زكي صفوت، المصدر نفسه، ص49.
(3) سعد أبو رضا، في البنية والدلالة، ص157.
(4) أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب في العصور العربية الزاهرة، ص49.

ويواصل ابن المقفع العطف بين الجمل التامة والمفيدة، حيث يقول: "والأزمنة أربعة على اختلاف حالات الناس"[2].

والجمل التي سبق ذكرها هي جمل اسمية تخدم الغرض الذي من أجله سيق الحديث، وهي مرتبة في الجدول الآتي:

الجمل الاسمية	المبتدأ	الخبر
إن الزمان الناس.	الزمان	الناس
الناس رجلان.	الناس	رجلان
وال ومولى عليه.	/	- وال - مولى عليه
الأزمنة أربعة على اختلاف حالات الناس.	الأزمنة	أربعة

ثم يشرع ابن المقفع في تفصيل فكرته عن الزمن، ويستمر في تجلية مفهومه، معتمدا في ذلك على فنية التشخيص بربط اللاحسي بالحسي (الزمن/الناس).

ويقرر أن الزمن ليس ماهية واحدة، بل هو شرط يحسه الناس وفق طبيعة الأحداث التي يلابسها، بل إن الناس أنفسهم هم الذين يصنعون الزمن، وعلى أساسهم يحمد الزمن أو يذم.

وعليه قسم ابن المقفع الأزمنة إلى أربعة مستويات، كل مستوى يناقض الآخر أو يقابله.

فأما المستوى الأول عنده هو الزمن المثالي، ولهذا سماه بـ "خيار الأزمنة".

فإطار الصلاح الأخلاقي والقيمي و الاجتماعي في هذا المستوى متكامل يستوفيه الحاكم والرعية على السواء، والتراكيب التي تدل على ذلك هي:

صفات الراعي الصالح، أن يكون مؤديا إلى الرعية حقهم	صفات الرعية الصالحة؛ أن تكون مؤدية إلى الإمام حقه
- في الرد عنهم. - الغيظ على عدوهم. - الجهاد من وراء بيضتهم.	- في المودة والمناصحة والمخالطة. - وترك المنازعة. - والصبر عند مكروه طاعته.

(1) سعد أبو رضا، في البنية والدلالة، ص116.
(2) أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب في العصور العربية الزاهرة، ص49.

- الاختيار لحكامهم. - تولية صلحائهم. - التوسعة في معايشهم. - إفاضة الأمن فيهم. - المتابعة في الحق لهم. - العدل في القسمة بينهم. - التقويم لأودهم. - الأخذ لهم بحقوق الله عز وجل عليهم.	- المعونة له على أنفسهم.

والملاحظ في هذه التراكيب كثرة المصادر التي حلت محل الفعل وقد تمثلت في: الرد، الغيظ، الجهاد، الاختيار، تولية، التوسعة، إفاضة، المتابعة، العدل، التقويم، الأخذ، المودة، المناصحة، المخالطة، ترك، الصبر، المعونة.

وقد تكونت الجمل الاسمية من:

المصدر + الجار والمجرور، مثل: الغيظ على عدوهم.

أو المصدر (مضاف) + المضاف إليه، مثل: تولية صلحائهم.

وعلاقة المصادر بالتراكيب السابقة توحي بكثرة الخير من طرف الوالي خصوصًا وأنّ الجار والمجرور أو المضاف إليه قد اتصّلا بهما ضمير الجمع.

والغرض من توالي هذه المصادر وتسلسلها في تركيب تلو آخر هو الاختصار في الكلام، نظرا لما تحمله طبيعة الزمن النموذجي من المعاني، فهو لا يستمد طبيعته من نفسه، بل من المحتوى الاجتماعي الذي يعمر حقبة زمنية أو مرحلة ما كما تمثلها ابن المقفع.

كما أكد ابن المقفع بتلك المصادر صفات الراعي الصالح والرعية الصالحة، لأن دلالة المصدر على الحدث –وهو عملية ذهنية لا تدرك بالحواس- تسهل ترسيخ فكرة صلاح الطرفين وتثبيتها في ذهن المتلقي/القارئ.

والمستوى الثاني للزمن الذي تراءى إليه، هو زمن ذي الطرفية الصالحة التي تقابلها طرفية فاسدة محتاجة إلى إصلاح، حيث يكون الراعي فيها صالحا وتفسد فيه الرعية، وعبر عن ذلك بقوله: "أن يصلح الإمام نفسه ويفسد الناس"[1].

وتدل الجملة في ظاهرها على صلاح الراعي، لكن توظيف الفعل "يصلح" يوحي بضرورة أن يجهد الراعي في إصلاح نفسه أولا وبعد ذلك يقتضي تجنده من أجل حصر مساحة الفساد وتوسيع مساحة الصلاح، وبفضل ذلك تقل مظاهر التردي والتوحش.

أما المستوى الثالث للزمن كما يتمثله ابن المقفع، فهو الزمنية التي يفسد فيها الراعي وتصلح فيها الرعية أي أنه مستوى مناقض لسابقه.

وكما نستنتج من كلام ابن المقفع فإنه زمن ثقيل الوطئة على الرعية التي تجد نفسها تعيش نوعا من الابتلاء نتيجة قيام راع فاسد على رأسها، بحيث يعمل –بما يحمله من طبيعة شريرة ونقص في نفسه- على إتعاس رعيته بفضل ما يتميز به من نفوذ وسلطة.

وسعيا من ابن المقفع لتأكيد هذا المعنى، ذكر في الجملة الاسمية الآتية مجازا مرسلا، وهي: "إن لولاة الناس يدا في الخير والشر" [2]، فاليد بالنسبة للوالي –في هذا التركيب- ليست هي اليد الحقيقية، إنما هي سعيه وقدرته على إحداث ونشر الخير أو الشر.

ثم يأتي ابن المقفع إلى ذكر المستوى الرابع من الأزمنة، وهو بالنسبة إليه أسوأها وأتعسها لكونه زمن يتسم بفساد كلا الطرفين الحاكم والمحكوم، ولهذا سماه ابن المقفع بالكارثة.

فهو زمن تطبق فيه قبضة الشر على الحياة من الجهتين الراعي والرعية، فلا تكون الحياة إلا جحيما تتداعى فيه فواعل الشر وتغيب فيه الأصوات الخيرة الداعية إلى الحسنى والمقاومة للشرور والفساد.

نستنتج مما سبق أن ابن المقفع قام بالمقابلة بين أربعة أزمان كل زمن يمثل نقيض الآخر:

1) حاكم صالح + محكوم صالح = زمن صالح (خير الأزمان).

---

[1] أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة، ص50.
[2] أحمد زكي صفوت، المصدر نفسه، ص50.

2) حاكم صالح + محكوم فاسد = زمن أقل فسادا.

3) حاكم فاسد + محكوم صالح = زمن أكثر فسادا.

4) حاكم فاسد + محكوم فاسد = زمن فاسد (شر الأزمان).

الزمن	ما يقابله
خير الأزمان	شر الأزمان
زمن أقل فسادا	زمن أكثر فسادا

ويقر ابن المقفع بعد ذلك أن الله -عز وجل- يبتلي عباده بالخير والشر، وقد استشهد بقوله تعالى: "وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُون" ليربط هذا الاستشهاد بخيرية أو فساد الحاكم أو المحكوم، وما ذلك إلا نوع من الامتحان.

ويتطرق بعد التوطئة التفصيلية -الثانية- للحديث عن عصره وزمنه، ويؤكد في هذه الفقرة صلاحية الحاكم، والجمل التي تدل على ذلك هي:

1) قد أصبحنا نرجو لأنفسنا الصلاح بصلاح إمامنا.

2) وقد رأينا حظه من الله –عز وجل- في التثبت والعصمة.

3) فلم يبرح الله يزيده خيرا.

والأفعال في هذه التراكيب دالة على المضارع ما عدا الفعلين "أصبحنا" و"رأينا".

ويدل الفعل في ذاته على الحركة والتغير، وهذا ما أراده ابن المقفع لمجتمعه من خلال ذلك التوظيف، وهو تحول زمانه من الفساد إلى الصلاح.

أما ما يقوم به الحاكم فقد ذكره ابن المقفع بالتفصيل:

- لا يزال إمامنا يسارع في مرضاة الله:

1) بالاستصلاح لرعيته.

2) والصبر على ما يستنكر منهم.

3) وقلة المؤاخذة لهم بذنوبهم.

والمصادر (الاستصلاح، الصبر، المؤاخذة) في هذه التراكيب تعرب عن حسنات هذا الحاكم الذي يصفه بالإمام القائم على صلاح الرعية، والذي يأمل ابن المقفع أن يشمل من وراء جهود هذا الإمام الفاضل الخير لمجتمعه.

ويدل الفعل "لا يزال" على استمرار فعل الخير وانتشاره ودوامه.

كما أن لصلاح الحاكم أثر إيجابي على الرعية، لأنه بالنسبة لهم القدوة والمثال، فيعم الصلاح الرعية بإذن الله –عز وجل- يقول في ذلك ابن المقفع: "حتى يقلب الله له بصلاحه قلوبهم.

- ويفتح له أسماعهم وأبصارهم.
- فيجمع ألفتهم.
- ويقوم أودهم.
- ويلزمهم مراشد أمورهم"[1].

وكل هذه التراكيب فعلية جاء فيها ذكر للفعل والفاعل والمفعول به، وهي توحي بالخير العميم الذي يتطلع إليه ابن المقفع لمجتمعه.

ثم لا يزال ابن المقفع يشيد بمناقب هذا الحاكم، إلا أن هذا الإمام على صلاحه تتناوشه سهام المنتقدين، ولاسيما الفئات التي لا تقدر فضله بإنكارها وجحدها لما يقوم به من أعمال.

وهي بهذا تنكر نعمة من نعم الله –عز وجل-، وتأكيدا للفكرة يقول ابن المقفع: "فإن المستبطئين في التقصير لأكثر من المستبطئين في الإنكار"[2].

وتشتمل هذه الجملة على الأداتين إن واللام التوكيديتين والغرض منها إظهار طغيان الفئة المقصرة في حق الأمير عن الفئة التي تنكر فضله.

ثم يجنح –ابن المقفع- بعد ذلك إلى توظيف التراكيب الفعلية، ولعل الغرض من هذا هو الرغبة في إقناع المعارضين إلى تغيير رأيهم في الوالي والتحول من حال جحد النعمة إلى شكرها، إذ حين يهيأ الله تعالى الإمام الصالح للمجتمع، فإنما يكون قد ساق إليه نعمة، يطالب الناس بحمدها والإقرار بها وعدم إنكارها.

ثم يسوق ابن المقفع استفهاما يذكر فيه: "ومن أشد جهلا وأفظع عذرا، ممن لم يعرف النعمة ولم يقبل العافية؟"[3]، والغرض من ذلك تصوير مدى شدة تعجبه عن حال من جهل نعمة الله في أمير المؤمنين والتمس الأعذار لجهلها.

(1) أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة، ص51.
(2) أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة، ص51.
(3) أحمد زكي صفوت، المصدر نفسه، ص52.

وبعد أن تصدى ابن المقفع لانتقاد جاحدي النعمة والمنكرين أفضال الإمام الحاكم، نراه الآن يوجه الكلام مباشرة إلى المتلقين رغبة منه في شد انتباههم، وأعانه في ذلك أسلوب الأمر، حيث يقول: "فتفهموا ما أنا ذاكر لكم، وتدبروه بالحق والعدل" [1]، وهو يقصد نصحهم وإرشادهم إلى تفهّم وتدبر كلامه في موافقته للاعتراف بحسن حاكمهم وصلاحه.

وهو يبين لهم بذلك مدى جهالتهم وسوء منطقهم، من حيث التعامي على أفضال الحاكم، ولهذا نراه يستطرد تارة أخرى بأسلوب حكيم ويعطف القول مؤكدا ومقررا أن الناس في تمييز الحق والحقيقة ثلاث: "فإن المرء ناظر بإحدى عيون ثلاث: عين مودة، وعين شنآن، وعين عدل"[2].

وعن طريق النكرة المضافة تسنّى لابن المقفع الإيجاز وتحديد المعنى (عين مودّة، عين شنآن، عين عدل) لأنّ الإضافة في هذه الأمثلة تفيد النكرة نوعًا من التخصيص،لما في التخصيص من معنى التحديد[3].

فمن الناس من تطغى عليه صلة المودة والعاطفة، فلا يرى في الوالي والحاكم إلا خيرا، وهذه نظرة تجانب الموضوعية لأنها تتغاضى عن العيوب والنقائص.

ومن الناس من يعميه الهوى والإجحاف عن استبانة الحق والفضيلة في الحاكم فتراه لا يفتأ ينكر ويتعامى ويتصامى عن تبيان الحق في الحاكم فهو مسوق في ذلك بالهوى، ولا تكون مواقفه إلا حائدة عن الحق مجافية للصواب.

وهناك من الناس أهل الحصافة ممن يقايسون الأمور بميزان العدل والإنصاف فيرون الصلاح صلاحا والقصور قصورا، فهم المتحرون للرشد في أحكامهم الذين تتماسك بهم الأمور وتتزن الدعائم وتزدهر حركة العمارة.

ثم يعيد ابن المقفع توجيه الخطاب إلى المتلقين مباشرة، متوسلا مرة أخرى بأسلوب الأمر داعيا إياهم بقوله: "فتفكروا فيما جمع الله لأمير المؤمنين في معدنه وفي سيرته، وفيما ظاهر عليكم من النعمة والحق والحجة"[4].

---

[1] أحمد زكي صفوت، المصدر نفسه، ص52.
[2] أحمد زكي صفوت، المصدر نفسه، ص52.
[3]- ينظر: أبو السعود حسنين الشاذلي، المركب الاسمي الإسنادي من خلال القرآن الكريم، الإسكندرية، ط1990، ص29.
[4] أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة، ص52.

وهي دعوة صريحة إلى الناس في زمانه –لا سيما المعارضين- كي ينظروا بعين الحق أي بعين العدل إلى الحاكم، لتقدير خصاله وتثمين مكارمه، وللابتعاد عن الزيغ فيما يحكمون به عليه.

وما حكم المعارضين في الحاكم إلا من أهواء ومكايد الشيطان، وهذا ما سعى ابن المقفع إلى تقريره من خلال الجملتين الاتيتين:

1) فلعمري إن للشيطان من أهواء الناس وألسنتهم في الأمر لنصيبا.

2) وإنه لمستراحا بينهم.

وفي كليهما توفرت أدوات التوكيد "إن" و"اللام".

ثم فصل القول واستأنف الكلام بالتراكيب الفعلية الآتية:

- يستوفيهم أمنيته.

- ويصدق عليهم ظنه.

- ويوحي إليهم بمكايده.

فالشيطان حرب على الخير لا يحمل أتباعه من أهل الهوى إلا على معارضة ومناهضة الصلاح.

والغرض من ذكر الأفعال في الزمن المضارع إنما للدلالة على زوال وانتهاء أعمال الشيطان.

وفي الجملة الفعلية "يصدّق عليهم ظنه" استعارة مكنية، حيث جعل فيها ابن المقفع الظن كالشيء الذي تجب فيه الصدقة، وقد استمد هذا الأسلوب من كلام الله –عز وجل- في سورة سبأ، يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ ﴾[1]، ليستحضر بذلك معاني قرآنية جليلة تدعم كلامه.

وهو بهذا يبالغ في وصف حيل الشيطان، إفسادا للناس وطمسا لعيونهم.

ويواصل ابن المقفع منافحته عن الحاكم، مقدما الحجة لبيان صلاحه كونه سليل رسول الله صلى الله عليه وسلم.

[1] سورة سبأ، الآية:20.

وأكد كلامه بالتراكيب الإسنادية الاسمية الآتية: "فمن كان سائلا عن حق أمير المؤمنين في معدنه، فإن أعظم حقوق الناس منزلة وأكرمها نسبة وأولاها بالفضل حق رسول الله صلى الله عليه وسلم"[1].

ويرجع تمام هذه الجملة من حيث مبناها ومعناها إلى توفر الشرط وجزاءه، فهما كل لا يتجزأ.

ومما زاد في بلاغة الحجة توظيف أسماء التفضيل وهي: أعظم وأكرم وأولى.

وإضافة إلى ذلك فقد ذكر ابن المقفع الخصال التي امتاز بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتي لم تجتمع لأحد، ليؤكد بتلك الخصال أحقية وصلاحية الحاكم في عصره، فقد أخبر عنه بقوله: "نبي الرحمة، وإمام الهدى، ووارث الكتاب والنبوة، خاتم النبيين"[2].

إن ابن المقفع يرى في النسب الجامع بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين الحاكم الذي يدافع عنه ضد خصومه، حجة كافية وبالغة، تبرر مقامه كراع للأمة وتسوغ إمامته ورئاسته للناس.

(1) أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة، ص52.
(2) أحمد زكي صفوت، المصدر نفسه، ص52.

خلاصة القول:

1) يعد هذا النص بيانا سياسيا، صادرا عن مثقف لا يخفي موالاته للحاكم، فالمشايعة السياسية وروح الموالاة فيه واضحة، بحيث يظهر الباث أنه في موقع المؤيد للسلطان.

وقد اتبع ابن المقفع استراتيجية إقناعية جمعت بين تسخير العقل والمنطق في إثبات الحجة وتجييش العاطفة.

فاصطنع في نصه صورة منطقية حرص على أن تكون برهانا وإثباتا، بدا لنا فيها أنه صاحب حق.

2) ولقد عقلن ابن المقفع –وهو بصدد تكريس الإقناع لدى المتلقين، مفهوم الزمن، وأراد أن يبتدئ خطابه بفاتحة عقلية، لأنه رجل مفكر يجنح إلى فلسفة أفكاره، لذا رأيناه استطرد وبسط القول في مسألة الزمن ليفند أحكام المعارضة، إذ ميز بأسلوبه بين الزمن وبين الواقع الاجتماعي.

وقد تسنى له من خلال هذا التمييز أن يبرئ ساحة الزمن ليدين أهله وليحمل الإنسان أو الجماعة والمجتمع مسؤولية صلاح الزمن أو فساده.

ولكي يخلص إلى إدانة المعارضين، رأيناه قسم الزمن تقسيما يوضح عن مرمى الإدانة التي استهدف بها الفئة المعارضة للحاكم.

3) لقد انساق منطق ابن المقفع في هذه الرسالة الإعلامية مساقا حجاجيا حيث يتمكن المتلقي/ القارئ من أن يستنتج بيسر الغاية والقصد التي صوب نحوها الباث وهي إدانته لخصوم الإمام.

فمن خلال صياغة النص وطريقة عرض الفكرة التي سعى فيها الباث إلى المزاوجة بين بسط النص بحيث جاء نصا تفصيليا منطقيا أكثر فيه من استخدام الأساليب الخبرية والتراكيب الاسمية، وبين الوازع الإثباتي الخاص بالمتلقين، إذ أن الباث قرر ضمنا وعلانية أن الفساد لا يناط دائما وفي كل الأحوال بناصية الحاكم، كما هو الحال في ذلك العصر الذي انبرى فيه ابن المقفع يدافع وينافح عن الحاكم مدعما كل ذلك بمسحة شعرية سوغ بها رأيه وأيد وجهة نظره وعزز موقفه.

4) إضافة إلى المسوغات العقلية التي اعتمدها ابن المقفع، نراه بطن مساحات نصه بروح القرآن، فكأن نصه في هذه المساحات ترجمة لآيات قرآنية وأحاديث نبوية، فقد ذكر قوله تعالى: "ولنبلونكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون" ليحتج بذلك على خيرية حاكمهم.

وقد أثنى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: "إمام الهدى، وخاتم النبيين، بعثه الله بشيرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا"، وقد استمد ذلك من قوله تعالى في كتابه العزيز: (يَا أَيُّهَا النَبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا)،[1] وقوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا)[2].

5) ومما أعطى لهذا النص صبغة الفاعلية والتأثير تميزه بإنشائية تنتمي إلى صنف الوعظ والحكمة.

ولا غرو أن يجنح ابن المقفع إلى مثل هذا النهج الخطابي، إذ أن البيئة في عصره كانت لا تفتأ تفترغ مادة خطابها من تراث العرب شعرا جاهليا وقرآنا كريما وحديثا نبويا شريفا.

6) نسجل من جهة أخرى استطالة بعض العبارات والجمل، وإن كان أصل تشكيلها من صنف الجمل القصيرة وتميزها بشيء من اللبس كقوله: "ولئن كان علم وصل إلى خاصة قوم، ما على من قصر ذلك عنه لوم، وإن كان ممن وصل ذلك إليه".

والعلة في ذلك ترجع إلى الجنوح الفكري لابن المقفع، وربما لتأثره بثقافته الفارسية ولتمرسه بالترجمة واحترافها، فقد ترك ذلك الاحتراف آثاره الأسلوبية عليه.

7) كما يتجلى لنا من نصّ الرسالة أنّ ابن المقفع من أهل الحصافة العقلية، ويمتاز هذا الصنف من الناس –عادة- بالاستثقال والضيق من الزمن الذي يعيشونه.

فلا غرابة أن تكون علاقة ابن المقفع بالواقع التاريخي الذي يحياه وبالعصر والمرحلة التي يجتازها علاقة نفور وانتقاد.

---

(1) سورة الأحزاب الآية45-46.
(2) سورة سبأ الآية28.

ويمكن الإشارة إلى ذلك من خلال رصيد مهمّ من المفردات نذكر منها: مدخولين، منقوصين، باغٍ، عيّاب، متكلّف، الاستخفاف، الغش، الحسد، الخونة، السخط، الباطل، رياءً، الوزر، الفساد.

وتستجمع هذه الدوال في باطنها شتى معاني القطيعة التي كان يعاني منها ابن المقفع تجاه أبناء مجتمعه، والشيء الذي كان يفتقده آنذاك هو صفات الكمال الأخلاقية والاجتماعية والسياسية، والتي نجد لها بعض المفردات في الرسالة مثلا: الأمين، الصدوق،الصواب، الخير، الصلاح، الأمن، المودة، النعمة، الرحمة، الهدى، الصالحين.

8) كما أنّه رجل سياسي يرفض الفساد بكلّ أشكاله، محافظ ومدافع عن دين الإسلام ورافع لرايته، وقد بذل في ذلك فكره وأدبه.

وهو يرى في مخالفة السلطان والخروج عن طوعه فتنة كبرى تهدم أساس وأركان المجتمع.

الخاتمة

توصلنا من خلال هذا البحث إلى النتائج الآتية:

1) إنّه بالرغم من الحدود التي وضعها العلماء بين علم النحو والبلاغة فهما يتقاطعان في بعض المواضيع، كالبحث مثلا في عنصر المعنى والبيان وعلاقات الإسناد ونظام الجملة.

2) واتضح من خلال تتبع المفاهيم اللغوية لكل من النحو والأسلوب والبلاغة أنها تشترك في دلالتها على الطريق والمنهج؛ أي اتخاذ سبيل معين، فالنحو هو القصد والطريق والأسلوب هو الطريق تأخذ فيه، والبلاغة هي الوصول والانتهاء.

ويعود هذا الاشتراك إلى النقطة التي تلتقي فيها هذه المصطلحات، ألا وهي"اللغة"، وبالتالي فاللغة هي طريق التعبير ومنهج الإفصاح، وأداة الوصول والارتقاء إلى البيان، ويتم ذلك بمستويات ودرجات متفاوتة.

ولهذا نجد المتكلم / المبدع يستمد من اللغة فنيتها التعبيرية، وهي بالنسبة إليه صناعة ومهارة وتقنية في آن واحد؛ أي أنها إنجاز واع يأخذ بعين الاعتبار الغاية والقصد.

3) أنّ للإعراب مزية أسلوبية، أي عن طريق الحركة نتوصّل إلى إدراك القصد من الكلام، ونفرق بين غرض وآخر كالتفريق بين النفي والاستفهام والتعجّب.

4) وإنّ مصدر نجاح التواصل اللغوي هو معرفة أسرار التراكيب والالتزام بالنظام النحوي، لأن الإخلال به هو إخلال بالمعاني، بالإضافة إلى أن المرسل أو المتكلم يراعي –أثناء الحدث الكلامي- المقام وحال السامع، وعليه يؤدي المعنى ويبلغ الرسالة.

5) وتتشكل الجملة -سواء أكانت اسمية أم فعلية- من بنيتين تتفاعلان فيما بينهما:

أ) بنية الإسناد.

ب) بنية الإبلاغ.

6) وإنّ للجملة وظيفة وأهمية في التوصيل وتبليغ المعاني، وأنّ مراعاة التركيب اللغوي هو أساس البيان وفهم المقصود من الكلام.

7) وإذا حصرنا النظرة اللغوية بوصفها جملا وتراكيبا، قلنا إن التركيب إنشاء لفظي، له أفق منتظم، يناط بمدى استجابة المتلقي.

حيث تمثل اللغة –منذ القديم- أداة للتوصيل والتواصل بين الأفراد، وفتح العلاقات أو إغلاقها، فهي إذا الوسيط أو بالأحرى السفير والمفاوض بين أطراف الرسالة.

فعلى الرغم من كونها مشتركة بين المتعاملين بها، إلاّ أنها تختلف من حيث التركيب والنظم والتأليف.

الرسالة اليتيمة لابن المقفع

قال ابن المقفع:

"وَقَدْ أَصْبَحَ النَّاسُ –إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّنْ عَصَمَ اللهُ- مَدْخُولِينَ مَنْقُوصِينَ، فَقَائِلُهُمْ بَاغٍ، وَسَامِعُهُمْ عَيَّابٌ، سَائِلُهُمْ مُتَعَنِّتٌ، وَمُجِيبُهُمْ مُتَكَلِّفٌ، وَوَاعِظُهُمْ غَيْرُ مُحَقِّقٍ لِقَوْلِهِ بِالفِعْلِ، وَمَوْعُوظُهُمْ غَيْرُ سَلِيمٍ مِنَ الهُزْءِ وَالاسْتِخْفَافِ، وَمُسْتَشِيرُهُمْ غَيْرُ مَوَطِّنٍ نَفْسَهُ عَلَى إِنْفَاذِ مَا يُشَارُ بِهِ عَلَيْهِ، وَمُصْطَبِرٍ لِلْحَقِّ مِمَّا يَسْمَعُ، وَمُسْتَشَارُهُمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ عَلَى الغِشِّ وَالحَسَدِ، وَأَنْ يَكُونَ مِهْتَاكًا لِلسِّتْرِ، مُشِيعًا لِلْفَاحِشَةِ، مُؤْثِرًا لِلْهَوَى، وَالأَمِينُ مِنْهُمْ غَيْرُ مُتَحَفِّظٍ مِنْ ائْتِمَانِ الخَوَنَةِ، وَالصَّدُوقُ غَيْرُ مُحْتَرِسٍ مِنْ حَدِيثِ الكَذَبَةِ، وَذُو الدِّينِ غَيْرُ مُتَوَرِّعٍ عَنْ تَفْرِيطِ الفَجَرَةِ، يَتَقَارَضُونَ الثَّنَاءَ، وَيَتَرَقَّبُونَ الدُّوَلَ، وَيَعِيبُونَ بِالهَمْزِ، يَكَادُ أَحْزَمُهُمْ رَأْيًا يَلْفِتُهُ عَنْ رَأْيِهِ أَدْنَى الرِّضَا وَأَدْنَى السُّخْطِ، وَيَكَادُ أَمْتَنُهُمْ عُودًا أَنْ تَسْحَرَهُ الكَلِمَةُ، وَتُسْكِرَهُ اللَّحْظَةُ.

وَقَدْ ابْتُلِيتُ أَنْ أَكُونَ قَائِلاً، وَابْتُلِيتُمْ أَنْ تَكُونُوا سَامِعِينَ، وَلاَ خَيْرَ فِي القَوْلِ إِلاَّ مَا انْتُفِعَ بِهِ، وَلاَ يُنْتَفَعُ إِلاَّ بِالصِّدْقِ، وَلاَ صِدْقَ إِلاَّ مَعَ الرَّأْيِ، وَلاَ رَأْيَ إِلاَّ فِي مَوْضِعِهِ وَعِنْدَ الحَاجَةِ إِلَيْهِ، فَإِنَّ خَيْرَ القَائِلِينَ مَنْ لَمْ يَكُنِ البَاطِلُ غَايَتَهُ، ثُمَّ لَزِمَ القَصْدَ وَالصَّوَابَ، وَخَيْرَ السَّامِعِينَ مَنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنْهُ سُمْعَةً وَلاَ رِيَاءً، وَلَمْ يَتَّخِذْ مَا يَسْمَعُ عَوْنًا عَلَى دَفْعِ الهُدَى، وَلاَ بُلْغَةً إِلَى حَاجَةٍ دُنْيَا، فَإِنِ اجْتَمَعَ لِلْقَائِلِ وَالسَّامِعِ: أَنْ يُرْزَقَ القَائِلُ مِنَ النَّاسِ مِقَةً وَقَبُولاً عَلَى مَا يَقُولُهُ، وَيُرْزَقَ السَّامِعُ اتِّعَاظًا بِمَا يَسْمَعُ فِي أَمْرِ دُنْيَاهُ، وَقَدْ صَلُحَتْ نِيَّاتُهُمَا فِي غَيْرِ ذَلِكَ، فَعَسَى ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ مِنَ الخَيْرِ الَّذِي يُبَلِّغُهُ اللهُ عِبَادَهُ، وَيُعَجِّلُ لَهُمْ مِنْ حَسَنَةِ الدُّنْيَا مَالاَ يَحْرِمُهُمْ مِنْ حَسَنَةِ الآخِرَةِ، كَمَا أَنَّ المُرِيدَ بِكَلاَمِهِ أَنْ يُعْجِبَ النَّاسَ، قَدْ يَجْتَمِعُ عَلَيْهِ: حِرْمَانُ مَا طَلَبَ مَعَ سُوءِ النِّيَةِ، وَحَمْلُ الوِزْرِ، وَقَدْ وَافَقْتُمْ مِنِّي مُسَارَعَةً فِيمَا سَأَلْتُمُونِي مِنْ غَيْرِ مُعَاوَدَةٍ فِي أَشْبَاهِهِ، وَلَكِنِ اسْتَطَالَ النَّاسُ فِي جَسِيمِ أُمُورِهِمْ وَإِنْفَاذِ الطَّوَالِعِ، وَلَمْ يَبْرَحْ يُطَلَّعُ مِنِّي فِي ذَلِكَ احْتِسَابُ الخَيْرِ فِيمَا بَلَغَتْهُ القُوَّةُ مِنِّي فِي ذَلِكَ، طَمَعًا فِي أَنْ يَنْفَعَ اللهُ بِذَلِكَ مَنْ يَشَاءُ، فَإِنَّهُ مَا يَشَاءُ يَقَعُ.

أَمَّا سُؤَالُكُمْ عَنِ الزَّمَانِ، فَإِنَّ الزَّمَانَ النَّاسُ، وَالنَّاسُ رَجُلاَنِ: وَالٍ وَمُوَلًّى عَلَيْهِ، وَالأَزْمِنَةُ أَرْبَعَةٌ عَلَى اخْتِلاَفِ حَالاَتِ النَّاسِ.

فَخِيَارُ الأَزْمِنَةِ: مَا اجْتَمَعَ فِيهِ صَلاَحُ الرَّاعِي وَالرَّعِيَّةِ، فَكَانَ الإِمَامُ مُؤَدِّيًا إِلَى الرَّعِيَّةِ حَقَّهُمْ فِي الرَّدِ عَنْهُمْ، وَالغَيْظِ عَلَى عَدُوِّهِمْ، وَالجِهَادُ مِنْ وَرَاءِ بَيْضَتِهِمْ، وَالاخْتِيَارُ

لِحُكَّامِهِمْ، وَتَوْلِيَةُ صُلَحَائِهِمْ، وَالتَّوْسِعَةُ عَلَيْهِمْ فِي مَعَايِشِهِمْ، وَإِفَاضَةُ الأَمْنِ فِيهِمْ وَالمُتَابَعَةُ فِي الحَقِّ لَهُمْ، وَالعَدْلُ فِي القِسْمَةِ بَيْنَهُمْ، وَالتَّقْوِيمُ لأَوَدِهِمْ، وَالأَخْذُ لَهُمْ بِحُقُوقِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- عَلَيْهِمْ، وَكَانَتِ الرَّعِيَةُ مُؤَدِّيَةً إِلَى الإِمَامِ حَقَّهُ فِي المَوَدَّةِ وَالمُنَاصَحَةِ وَالمُخَالَطَةِ، وَتَرْكِ المُنَازَعَةِ فِي أَمْرِهِ، وَالصَّبْرِ عِنْدَ مَكْرُوهِ طَاعَتِهِ، وَالمَعُونَةِ لَهُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَالشِّدَةِ عَلَى مَنْ أَخَلَّ بِحَقِّهِ وَخَالَفَ أَمْرَهُ غَيْرَ مُؤْثِرِينَ فِي ذَلِكَ آبَاءَهُمْ وَلاَ أَبْنَاءَهُمْ، وَلاَ لاَبِسِينَ عَلَيْهِ أَحَدًا، فَإِذَا اجْتَمَعَ ذَلِكَ فِي الإِمَامِ وَالرَّعِيَّةِ، تَمَّ صَلاَحُ الزَّمَانِ، وَبِنِعْمَةِ اللهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ.

ثُمَّ إِنَّ الزَّمَانَ الَّذِي يَلِيهِ: أَنْ يَصْلُحَ الإِمَامُ نَفْسُهُ وَيَفْسُدَ النَّاسُ، وَلاَ قُوَّةَ بِالإِمَامِ مَعَ خِذْلاَنِ الرَّعِيَّةِ وَمُخَالَفَتِهِمْ وَزُهْدِهِمْ فِي صَلاَحِ أَنْفُسِهِمْ، عَلَى أَنْ يَبْلُغَ ذَاتَ نَفْسِهِ فِي صَلاَحِهِمْ، وَذَلِكَ أَعْظَمُ مَا تَكُونُ نِعْمَةِ اللهِ عَلَى الوَالِي، وَحُجَّةُ اللهِ عَلَى الرَّعِيَّةِ بِوَالِيهِمْ، فَبِالحَرَى أَنْ يَؤْخُذُوا بِأَعْمَالِهِمْ، وَمَا أَخْلَقَهُمْ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ.

وَالزَّمَانُ الثَّالِثُ: صَلاَحُ النَّاسِ وَفَسَادُ الوَالِي، وَهَذَا دُونَ الَّذِي قَبْلَهُ، فَإِنَّ لِوُلاَةِ النَّاسِ يَدًا فِي الخَيْرِ وَالشَّرِ، وَمَكَانًا لَيْسَ لأَحَدٍ، وَقَدْ عَرِفْنَا فِيمَا يُعْتَبَرُ بِهِ أَنَّ أَلْفَ رَجُلٍ كُلُّهُمْ مُفْسِدٌ وَأَمِيرُهُمْ مُصْلِحٌ أَقَلُّ فَسَادًا مِنْ أَلْفِ رَجُلٍ كُلُّهُمْ مُصْلِحٌ وَأَمِيرُهُمْ مُفْسِدٌ، وَالوَالِي إِلَى أَنْ يُصْلِحَ اللهُ بِهِ الرَّعِيَّةَ أَقْرَبُ مِنَ الرَّعِيَّةِ إِلَى أَنْ يُصْلِحَ اللهُ بِهِمْ الوَالِيَ، وَذَلِكَ لأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ مُعَاتَبَتَهُ وَتَقْوِيمَهُ، مَعَ اسْتِطَالَتِهِ بِالسُّلْطَانِ، وَالحَمِيَّةِ الَتِي تَعْلُوهُ.

وَشَرُّ الزَّمَانِ: مَا اجْتَمَعَ فِيهِ فَسَادُ الوَالِي وَالرَّعِيَّةِ، وَتِلْكَ كَارِثَةٌ لَمْ يَتَقَادَمْ عَهْدُ كَوْنِهَا، وَلَمْ تَعْفُ عَنْكُمْ آثَارُهَا، وَكُلُّ هَذِهِ الطِّبَاقِ مِنَ الشِّدَةِ وَالرَّخَاءِ فِيمَا يَبْتَلِي اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- بِهِ عِبَادَهُ، بِجَزَاءِ مُعَدٍّ، وَكَلِمَةٍ سَابِقَةٍ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: (وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ).

فَقَوْلِي فِي هَذَا الزَّمَانِ: إِنَّهُ إِلاَّ يَكُنْ خَيْرَ الأَزْمَانِ، فَلَيْسَ عَلَى وَالِيكُمْ ذَنْبٌ، وَإِلاَّ يَكُنْ شَرَّ الأَزْمَانِ، فَلَيْسَ لَكُمْ حَمْدُ ذَلِكَ، غَيْرَ أَنَّا بِحَمْدِ اللهِ قَدْ أَصْبَحْنَا نَرْجُو لأَنْفُسِنَا الصَّلاَحَ بِصَلاَحِ إِمَامِنَا، وَلاَ نَخَافُ عَلَيْهِ الفَسَادَ بِفَسَادِنَا، وَقَدْ رَأَيْنَا حَظَّهُ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي التَثَبُّتِ وَالعِصْمَةِ، فَلَمْ يَبْرَحِ اللهُ يَزِيدَهُ خَيْرًا، وَيَزِيدَ بِهِ رَعِيَّتَهُ مُذْ وَلاَّهُ، فَعِنْدَنَا مِنْ هَذَا وَثَائِقُ مِنْ عِبَرَ وَبَيِّنَاتٍ، وَنَحْتَسِبُ مِنَ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- أَنْ لاَ يَزَالُ إِمَامُنَا يُسَارِعُ فِي مَرْضَاةِ رَبِّهِ، بِالاسْتِصْلاَحِ لِرَعِيَّتِهِ، وَالصَّبْرِ عَلَى مَا يُسْتَنْكَرُ مِنْهُمْ، وَقِلَّةُ المُؤَاخَذَةِ لَهُمْ

بِذُنُوبِهِمْ، حَتَّى يَقْلِبَ اللهُ لَهُ بِصَلاَحِهِ قُلُوبَهُمْ وَيَفْتَحَ لَهُ أَسْمَاعَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ، فَيَجْمَعَ أُلْفَتَهُمْ، وَيُقَوِّمَ أَوَدَهُمْ، وَيُلْزِمَهُمْ مَرَاشِدَ أُمُورِهِمْ، وَتَتِمُّ نِعْمَةُ اللهِ عَلَى أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ، بِأَنْ يُصْلِحَ لَهُ وَعَلَى يَدَيْهِ، فَيَكُونُوا رَعِيَّةَ خَيْرِ رَاعٍ، وَيَكُونَ رَاعِيَ خَيْرِ رَعِيَّةٍ، إِنْ شَاءَ اللهُ وَبِهِ الثِّقَةُ.

وَالَّذِي أَصْبَحْنَا نَحْمَدُ مِنْ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ كَثِيرٌ، أَنَا ذَاكِرٌ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ، وَإِلَى هَذَا سِيقَ الحَدِيثُ، وَهُوَ قِيَامُهُ عَلَى رِعَايَةِ العَهْدِ وَجَحْدِ الجَحَدَةِ، وَفِيهِ اسْتُنْبِطِئَ المُسْتَنْبِطُونَ، وَلِيمَ المُلِيمُونَ، فَإِنَّ المُسْتَنْبِطِينَ فِي التَّقْصِيرِ لأَكْثَرُ مِنَ المُسْتَنْبِطِينَ فِي الإِنْكَارِ.

فَإِنَّا قَلَّمَا نَلْقَى مِنْ أَهْلِ العَقْلِ وَالمُعَايَنَةِ مُنْكِرًا لِنِعْمَةِ اللهِ بِأَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلَى المُسْلِمِينَ إِذَا ذُكِّرَ ذَلِكَ وَوُقِّفَ عَلَيْهِ، وَقَلَّمَا نَلْقَى إِلاَّ مُقَصِّرًا مِنْ نَاطِقٍ أَوْ صَامِتٍ، وَلَمْ تُصْبِحُوا مُعَاتَبِينَ عَلَى مَا جَهِلْتُمْ مِنْ حَقِّ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ وَفَضْلِهِ فِي سَيْرِ الأُمُورِ حِينَ أَقْبَلَتْ، فَإِنَّ الأَمْرَ فِي مُسْتَقْبَلِهِ مِمَّا يَسْتَبْهِمُ عَلَى ذَوِي العُقُولِ، وَتَشْتَدُّ فِيهِ حَيْرَتُهُمْ، لِمَا يَشْتَبِهُ عِنْدَهُمْ بِبَعْضِ مَا يَتَذَكَّرُونَ مِمَّا مَضَى: مِنْ أُمُورٍ لَمْ يَكُنْ لَهَا تَمَامٌ، وَأُخْرَى تَمَّتْ فَلَمْ تُحْمَدْ، وَلَئِنْ كَانَ عِلْمٌ وَصَلَ إِلَى خَاصَّةِ قَوْمٍ، مَا عَلَى مَنْ قَصُرَ ذَلِكَ عَنْهُ لَوْمٌ، وَإِنْ كَانَ مِمَّنْ وَصَلَ ذَلِكَ إِلَيْهِ، فَأَخَذَهُ بِحَقِّهِ، فَضَّلَهُ بِذَلِكَ، فَإِذَا آلَتِ الأُمُورُ إِلَى مَرَاتِبِهَا، وَحُصِّلَ مَحْصُولُهَا، وَصَرَّحَتْ عَنْ مَحْضِهَا، لَمْ يَكُنْ فِي جَهَالَتِهَا عُذْرٌ، وَلاَ فِي تَضْيِيعِ حَقِّ ذِي الحُجَّةِ حُجَّةٌ، وَمَنْ أَشَدُّ جَهْلاً، وَأَفْظَعُ عُذْرًا مِمَّنْ لَمْ يَعْرِفِ النِّعْمَةَ وَلَمْ يَقْبَلِ العَافِيَةَ؟ نَعُوذُ بِاللهِ أَنْ نَكُونَ مِنَ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ.

فَتَفَهَّمُوا مَا أَنَا ذَاكِرٌ لَكُمْ، وَتَدَبَّرُوهُ بِالحَقِّ وَالعَدْلِ، فَإِنَّ المَرْءَ نَاظِرٌ بِإِحْدَى عُيُونٍ ثَلاَثٍ، وَهُمَا الغَاشَّتَانِ وَالصَّادِقَةُ –وَهِيَ الَّتِي لاَ تَكَادُ تُوجَدُ-: عَيْنُ مَوَدَّةٍ تُرِيهِ القَبِيحَ حَسَنًا، وَعَيْنُ شَنَآنٍ تُرِيهِ الحَسَنَ قَبِيحًا، وَعَيْنُ عَدْلٍ تُرِيهِ حَسَنَهَا حَسَنًا، وَقَبِيحَهَا قَبِيحًا.

فَتَفَكَّرُوا فِيمَا جَمَعَ اللهُ لأَمِيرِ المُؤْمِنِينَ فِي مَعْدَنِهِ وَفِي سِيرَتِهِ، وَفِيمَا ظَاهَرَ عَلَيْكُمْ مِنَ النِّعْمَةِ وَالحَقِّ وَالحُجَّةِ بِذَلِكَ فِيمَا عَسَى القَائِلُ أَنْ يَبْتَغِيَ فِيهِ المَغْمَزَ وَالمَقَالَ، فَلَعَمْرِي إِنَّ لِلْشَّيْطَانِ مِنْ أَهْوَاءِ النَّاسِ وَأَلْسِنَتِهِمْ فِي الأَمْرِ لَنَصِيبًا، وَإِنَّهُ لَمُسْتَرَاحًا بَيْنَهُمْ، يَسْتَوْفِيهِمْ أُمْنِيَّتَهُ، وَيُصَدِّقُ عَلَيْهِمْ ظَنَّهُ وَيُوحِي إِلَيْهِمْ بِمَكَايِدِهِ، فَجَعَلَ اللهُ كَيْدَهُ ضَعِيفًا، وَحِزْبَهُ مَغْلُوبًا، وَجَعَلَهُ وَإِيَّاهُمْ نَصِيبًا لِجَهَنَّمَ مِنْ أَجْزَائِهِ المَقْسُومَةِ لأَبْوَابِهَا وَحَطَبِهَا وَوَقُودِهَا وَحَصَبِهَا لِيَعْدِلَ لَهَا.

فَمَنْ كَانَ سَائِلاً عَنْ حَقِّ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ فِي مَعْدَنِهِ، فَإِنَّ أَعْظَمَ حُقُوقِ النَّاسِ مَنْزِلَةً، وَأَكْرَمِهَا نِسْبَةً وَأَوْلاَهَا بِالفَضْلِ، حَقُّ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم نَبِيُّ الرَّحْمَةِ، وَإِمَامُ الهُدَى، وَوَارِثُ الكِتَابِ وَالنُبُوَّةِ، وَالمُهَيْمِنُ عَلَيْهِمَا وَخَاتَمَ النَبِيِّينَ وَالصِدِّيقِينَ وَالشُهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، بَعَثَهُ اللهُ بَشِيرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا، ثُمَّ هُوَ بَاعِثُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ مَقَامًا مَحْمُودًا، شَرَعَ اللهُ بِهِ دِينَهُ، وَأَتَمَّ بِهِ نُورَهُ عَلَى عَهْدِهِ، وَمَحَقَ رُؤُوسَ الضَّلاَلَةِ، وَجَبَابِرَةَ الكُفْرِ، وَخَوَّلَهُ الشَّفَاعَةَ، وَجَعَلَهُ فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى صلى الله عليه وسلم "[1].

[1] - أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة ، المجلد3/48، 49، 50.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
1 -أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، دت.
2 -أحمد عزوز، المدارس اللسانية، أعلامها، مبادئها، ومناهج تحليلها للأداء التواصلي، دار الأديب للنشر والتوزيع، الجزائر، .2005
3- أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تح عمر فاروق، مكتبة المعارف، بيروت، ط1، 1993.
4- أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2002.
5-أسعد أحمد علي وفكتور الكك، صناعة الكتابة، دار السؤال دمشق، ط4، .1981
6- بدوي طبانة، البيان العربي، دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى، مطبعة الرسالة، مصر، ط3، .1962
7- الباقلاني، إعجاز القرآن، تح أبو بكر عبد الرزاق، مكتبة مصر، .1994
8- بيير جيرو، الأسلوبية، تر منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، ط2، .1994
9-الجاحظ، البيان والتبيين، تح حسن السندوبي، منشورات دار المعارف، تونس، 1990.
10- ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر، بيروت، ط 1، 2001.
11- جان بياجيه، البنيوية، تر عارف منيمة وبشير أوبري، منشورات عويدات، بيروت، ط2، .1980
12- ابن جني، الخصائص، تح محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.
13- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2 1981.
14- الحريري أبو محمد، شرح ملحة الإعراب، تح بركات يوسف هبود، المكتبة العصرية، بيروت، 2001.
15- حسن عون، تطور الدرس النحوي، القاهرة، 1970.

16- حلمي مرزوق، النقد والدراسة الأدبية، دار النهضة العربية، بيروت، 1982.
17-الخطابي، بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط2، 1968.
18-الخطيب القزويني، التلخيص في علوم البلاغة، تح عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1997.
19-ابن خلدون، المقدمة، دار الفكر، بيروت، 2002.
20-خيرة حمر العين، جدل الحداثة في نقد الشعر العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط1، 1997.
21-ربيعي محمد علي عبد الخالق، البلاغة العربية، وسائلها وغايتها في التصوير البياني، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1989.
22-رابح العربي، في الفصاحة العربية، مطبعة المعارف، عنابة، ط1، 2003.
23-رجاء عيد، فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، منشأة المعارف، الاسكندرية، ط 2، د.ت.
24-ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح عبد الرحمن هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2001.
25-الرافعي أحمد ابن المقري، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، دار الفكر، د.ت.
26-الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط2، 1968.
27-ريمون طحان، الألسنية العربية، النحو، الجملة، الأسلوب، الخاتمة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1981.
28-الزمخشري، أبو قاسم جار الله، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الفكر، بيروت، د.ت.
29-الزواوي بغورة، المنهج البنيوي، دار الهدى، الجزائر، ط1، 2001.
30-سعد أبو الرضا، في البنية والدلالة، الاسكندرية، د.ت.

31-أبو السعود حسنين الشاذلي، المركب الاسمي الإسنادي، من خلال القرآن الكريم، الاسكندرية، ط1، 1990.
32-سعيد يقطين، الكلام والخبر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1 1997.
33-سيبويه، أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تح عبد السلام محمد هارون، القاهرة، ط3، 1988.
34-السيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو، تح محمد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998.
35-السيوطي، شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، دار إحياء الكتب العلمية، د.ط، د.ت.
36-شكري عياد، النقد والبلاغة، دار المعارف، تونس، د.ت.
37-شايف عكاشة، نظرية الأدب في النقدين الجمالي والبنيوي في الوطن العربي، الجزائر، 1994.
38-صالح بلعيد، التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994.
39-صالح بلعيد، نظرية النظم، دار هومة، الجزائر، 2002.
40-صالح سليم الفاخري، تصريف الأفعال والمصادر والمشتقات، مطبعة الإشعاع، مصر، 1996.
41-صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، الكويت، 1992.
42-صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي، بيروت، ط3، 1985.
43-عبده الراجحي، التطبيق النحوي، دار النهضة العربية، بيروت، 1985.
44-عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، ط2، 1992.
45-عبد السلام المسدي، قضية البنيوية، دراسة ونماذج، دار الجنوب للنشر، تونس، 1995.
46-عبد العال مكرم، القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، دار المعارف، مصر، 1968.
47-عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، تح محمد رضا، القاهرة، د.ت.

48-عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح عبد المنعم خفاجي، مكتبة القاهرة، ط 1، 1969.
49-عبد الله أحمد جاد الكريم، المعنى والنحو، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2002.
50-عباس حسن، اللغة والنحو بين القديم والحديث، دار المعارف، مصر، ط2، 1981.
51-عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، دت.
52-عز الدين إسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي، دار الفكر العربي، ط 2، 1968.
53-العلوي، كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، بيروت، 1980.
54-عمار ساسي، الإعجاز البياني في القرآن الكريم، دراسة نظرية في الآيات المحكمات، دار المعارف، الجزائر، ط1، 2003.
55-عمار ساسي، المدخل إلى النحو والبلاغة، دار المعارف، الجزائر، 2005.
56-فردينان دي سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، تر يوسف غازي ومجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1986.
57-فاضل صالح السامرائي، الجملة العربية والمعنى، دار ابن حزم، بيروت، 2000.
58-ابن قتيبة، أدب الكاتب، حققه وعلق حواشيه ووضع فهارسه محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1999.
59-قطبي الطاهر، الاستفهام بين النحو والبلاغة، دراسة مقارنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992.
60-ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004.
61-المبرد، المقتضب، تح محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة، ط2، 1979.
62-مبروك سعيد، في إصلاح النحو العربي، دراسة نقدية، دار القلم الكويت، ط 1، 1985.
63-محمد حسين أبو موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت.

64-محمد حسين أبو موسى، دلالات التراكيب، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، منشورات جامعة قار يونس، 1979.
65-محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، دار الشروق، بيروت، ط1، 2000.
66-محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، 1984.
67-محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، الهيئة المصرية العام للكتاب، 1984.
68-محمد بن عمر الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تح إبراهيم السامرائي ومحمد بركات، عمان، 1985.
69-محمد علي سلطاني، البلاغة العربية في فنونها، مطبعة زيد بن ثابت، 1980.
70-محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط1، 1306هـ.
71-محمد الماكري، الشكل والخطاب، مدخل لتحليل ظاهراتي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1991.
72-مختار عطية، التقديم والتأخير ومباحث التراكيب، بين البلاغة والأسلوبية، دار الوفاء الاسكندرية، 2005.
73-مختار بوعناني، نحو الجمل، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995.
74-مصطفى سعيد الصليبي،الجملة الفعلية في مختارات ابن الشجري، دراسة نحوية تطبيقية إحصائية، دار هومة، الجزائر، د.ت.
75-مصطفى ناصف، نظرية المعنى في النقد العربي، دار الأندلس للنشر والتوزيع، ط2، 1981.
76-ابن المقفع، الأدب الصغير والأدب الكبير ورسالة الصحابة، كتب الدراسة وشرح النصوص يوسف أبو حلقة، مكتبة البيان، بيروت، ط2، 1960.
77-منذر عياشي، اللسانيات والدلالة، الكلمة، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط 1، 1996.
78-المنصف عاشور، بنية الجملة العربية بين التحليل والنظرية، منشورات كلية الآداب، 1991.

79-ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، 2000.
80-مهدي المخزومي، في النحو العربي، قواعد وتطبيق، دار الرائد العربي، بيروت، ط2، 1986.
81-مهدي المخزومي، في النحو العربي، نقدوتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت، ط 2، 1982.
82-موريس أبو ناضر، إشارة اللغة ودلالة الكلام، بيروت، لبنان، ط1، 1990.
83-نوزاد حسن أحمد، المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، ط1، 1996.
84-ابن هشام، الجامع الصغير في النحو، تح أحمد محمود هرميل، القاهرة، 1980.
85-ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، ط1، 1991.
86-أبو هلال العسكري، الصناعتين، الكتابة والشعر، تح محمد علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط2، 1971.
87-هنريش بليث، البلاغة والأسلوبية، تر محمد العمري، إفريقيا الشرق، 1999.
88-يوسف أبو العدوس، الاستعارة في النقد الأدبي الحديث، منشورات الأهلية، الأردن ط1، 1997.

المجلات:

1-أحمد حساني، النظام النحوي العربي بين الخطاب الفلسفي والخطاب التعليمي، مجلة تيسير النحو، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، أفريل، 2001.

2-أحمد منور، مفهوم الخطاب الشعري عند رومان ياكبسون من خلال كتابه مقالات في الألسنية العامة، مجلة اللغة والأدب، ع2.

3-التواتي بن التواتي، هل النحو العربي بحاجة إلى التيسير، مجلة الآداب واللغات، جامعة الأغواط، الجزائر، ع1، ديسمبر 2003.

4-حمروش إدريس، العامل النحوي عند النحاة الأوائل حتى القرن الخامس الهجري، مجلة تيسير النحو، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، أفريل، 2001.

5-شعيب مقنونيف، فن القول وعلاقته بفنون الإيصال في النقد والبلاغة العربيين قديما، مجلة كلية الآداب، تلمسان، ع2، المجلد 2، نوفمبر 2000.

6-عبد الجبار توامة، المنهج الوظيفي العربي الجديد لتجديد النحو العربي، مجلة تيسير النحو، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، أفريل، 2001.

7-عبد الحليم بن عيسى، الاتصال اللغوي بين الدقة والغموض، مجلة اللغة والاتصال، ع1، أكتوبر 2005.

8-عبد الحميد دباش، دور التركيبية في فهم وإفهام القرآن الكريم، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، قسنطينة، ع3، نوفمبر، 2003.

9-عبد القادر بن عسلة، أثر السلامة اللغوية في العملية التواصلية، مجلة اللغة والاتصال، ع2، أفريل 2006.

10-كمال قادري، مخالفة الإعراب بين الخطأ والصواب، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، سطيف، دار الهدى، عين مليلة، ع1، أفريل، 2004.

11-محمد سالم ولد محمد الأمين، مفهوم الحجاج عند برلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، مجلة عالم الفكر تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، دولة الكويت، المجلد 28، ع03، يناير، مارس، 2000.

12-محمد العيد رتيمة، النظرية البنيوية الوظيفية وتطبيقاتها في الدرس اللغوي، مجلة اللغة العربية والآداب، الجزائر، ع9، 1996.

13-منقور عبد الجليل، الجهود الدلالية عند عبد القاهر الجرجاني، قراءة في الأسس والمفاهيم، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، الجزائر، ع1، 2001-2002.

الرسائل الجامعية:

1-عبد القادر بن عسلة، التفاعل التواصلي والمنهج التحويلي في تعليمية القواعد، التعليم الثانوي نموذجا، رسالة لنيل شهادة الماجستير في العلوم اللغوية والاتصال، جامعة وهران، السنة الجامعية 2004 (مخطوط).

2- قلايلية العربي، التقديم والتأخير في التراكيب اللغوية، دراسة دلالية، رسالة دكتوراه دولة في اللغة، جامعة وهران، 2000-2001 (مخطوط).

3- لوسرة محمد، أثر المستوى التركيبي في الدلالة، رسالة ماجستير، جامعة وهران، 2003 (مخطوط).

4-محمد ملياني، ظاهرة الحذف في الدراسات اللسانية الحديثة، رسالة دكتوراه، جامعة وهران، 2006-2007 (مخطوط).

المراجع الأجنبية:

1-Jaques Demougin, Dictionnaire des littératures française et étrangères, Larousse, Paris, 1992.

2-Gattel C.M, Dictionnaire pratique de la langue française, France, Juin, 2001.

3-Noam Chomsky, La linguistique cartésienne, Traduits par : Nelcya Delanoe et Dan Sperber, Edition du seuil, Paris, 1969.

موقع الأنترنت:

http://fr. wikipedia. org/ wiki/Lexique.

فهرس الموضوعات

المقدمة..... أ

المدخل: تفاعل البنية التركيبية والبلاغية في الدراسات العربية والغربية

I- في المفاهيم.....02

1- مفهوم التفاعل لغة واصطلاحا 03

2- مفهوم البنية لغة واصطلاحا 04

3- مفهوم التركيب لغة واصطلاحا 05

II- تفاعل البنية التركيبية والبلاغية 08

أ- في الدراسات العربية 08

سيبويـه، دارسـو الإعجاز القرآن، الرماني، الخطابي، أبو هلال العسكري، الباقلاني، عبد القادر الجرجاني.....08

ب-عند المدرستين.....17

ب.1-الوظيفية 18

ب.2-النسقية 20

الفصل الأول: القيمة البيانية للنحو والبلاغة في التواصل اللغوي

1- حدود الدراسة النحوية والبلاغية.....24

2- الإعراب وقيمته البيانية. 31

3- إشكالية المعنى في النحو وعلاقته بالتواصل اللغوي 35

4-خاصية الأسلوب وفنون القول 42

أ- المفهوم اللغوي.....42

ب- المفهوم الاصطلاحي 42

ج-الدراسة الأسلوبية 44

5- قيمة البلاغة في بلوغ المعاني.....49

الفصل الثاني: "الجهود النحوية والبلاغية في الدراسة التركيبية"

1- الجملة عند النحاة والبلاغيين.....55
2- تأثير مناسبات القول في تركيب الجملة 62
3- الجملة بين قيود النظام النحوي والبلاغي 68
4- الوظيفة النحوية والبلاغية للجملة.....70

الفصل الثالث: الرسالة اليتيمة في ضوء التفاعل النحوي والبلاغي

1- عناصر الاتصال عند ابن المقفع.....82
2- صفات القائل والسامع 83
3- خلاصة القول 94
الخاتمة.....97
- نص الرسالة اليتيمة..... 100
قائمة المصادر والمراجع.....105
المجلات 113
الرسائل الجامعية.....115
المراجع الأجنبية 116
فهرس الموضوعات 117